عمر كامل
شيء
من
الخوف

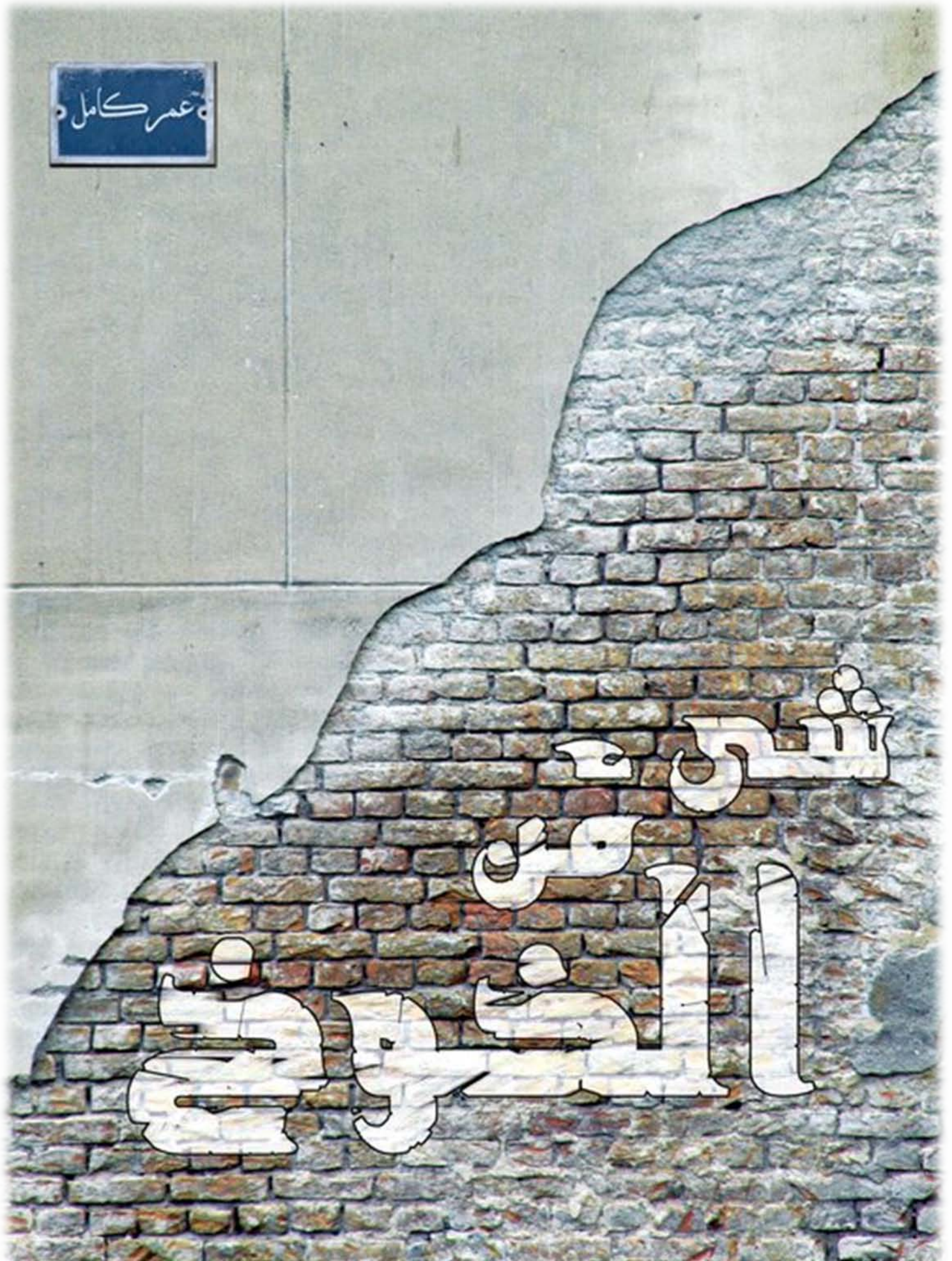

شـئ من الخـوخ

تأليف

عمر كامل

يوليو 2010 - الطبعة الأولى والأخيرة

تصميم الغلاف: Fekra Designs

إهـــــداء

إلى أبي وأمي اللذين جعلا هذا الطفل الساذج قادرا على الكتابة..

إلى أصدقائي الذين رأيت من خلالهم الحياة كما تمنيت أن أراها..

إلى كل من أرسل لي تعليقا على شئ كتبته.. سواء أعجبه أو لم يعجبه

وإلى أصحاب الفكرة محمود الخولي.. محمد عبد العزيز القباني.. والفنان محمد سيد

مقدمـــة

بمجرد أن جلس أمام الكمبيوتر بجواري لكي أطلعه على الكتاب حتى تساءل صديقي في دهشة "إيه ده.. هي فين؟".. اعتقدت أنه ربما شعر فجأة أن محفظته ليست في مكانها.. وهذا يضعني في بؤرة الشبهات لأنني أقرب الناس إليه.

سألته في حذر "هي إيه؟".. أجابني رافعا حاجبيه "المقدمة.. عمرك شفتك كتاب من غير مقدمة؟".. كنت على وشك أن أسأله على طريقة اللمبي "طب وإيه الضرر في كده؟" ولكنه وضح لي أن المقدمة هدفها كتابة شئ موجز عن مضمون الكتاب وعنوانه والملابسات التي أدت إلى كتابته وأشياء من هذا القبيل.

وعلى الفور حاولت كتابة مقدمة للكتاب.. فالوقت المتبقي ضيق للغاية.. وتعددت المحاولات.. مرة أكتب شيئا يوضح أن هذا الكتاب هو مجموعة مقالات سبق نشرها ولكنها تعرضت للسرقة وإعادة النشر.. بشكل جعلني أشعر أن علاقة ما بدأت تنشأ بيني وبين كيس الجوافة..فحاولت أن أجمع بعض ما كتبت في مكان واحد.. ولكني عندما أعيد قراءة المقدمة أشعر أن هذه القصص لا تهم القارئ من قريب أو بعيد.. فأمسح كل ما كتبت وأحاول مرة أخرى.

في المرة التالية أحاول أن أوضح أن مضمون الكتاب يوحي بأن كاتبه مش فاهم حاجة.. فمقال بالعامية يتبعه مقال بالفصحى.. ومقال ساخر يتلوه مقال جاد كئيب أو قصة قصيرة درامية. أحيانا تشعر أن الكاتب يتقمص شخصية ونيس الذي يحاول إصلاح الكون وهو يلقن أبناءه حديث الثلاثاء.. وأحيانا أخرى تشعر أنه اللمبي الذي أوشكت صورته أن تطبع على الجنيه بدلا من رمسيس الثاني.

ولكني أعيد قراءة المقدمة فأشعر أن القارئ بالتأكيد سيكتشف ذلك بنفسه.. وأقول لنفسي لا داعي لأن تتنبأ مثل قارئة الفنجان وإلا ترك القارئ الكتاب من مقدمته بعد أن أصبح طريقه مسدود مسدود مسدود. ومرة أخرى أدمر كل ما كتبته وأعيد المحاولة.

حسنا سأكتب في هذه المقدمة لماذا هو كتاب إليكتروني بدون نسخة مطبوعة.. وسأوضح أنني أدركت منذ البداية أن لا أحد قادر على أن يقنع مخه أن يرسل نبضات إلى أعصاب يده لتمتد وتأخذ كتابا يتحدث عن شئ من الخوخ.. خصوصا إذا كان الكاتب لم يحصل على القدر الكافي من الشهرة الذي يمنح القارئ الثقة لكي يفضل شراء كتاب له عن ساندوتش شاورما ربما يحمل نفس السعر. وسأوضح أيضا بالمرة في المقدمة أن الكتاب لا علاقة له بالفواكه.. ولكن العنوان هو لمقال من أكثر المقالات قربا من الكاتب نظرا لموضوعه وظروف كتابته و... ومسحت كل هذا الكلام دون أن أدرك السبب بالتحديد.

ولأن الساعة الآن الخامسة فجرا ولابد أن أنتهي من الكتاب حتى أحلم أحلاما سعيدة.. فقد قررت أن ما سأكتبه هذه المرة سأنشره مهما كان. وهذه المرة قررت أنني لن أحكي شيئا عن الكتاب في مقدمته.. فقط سأقول أنني اكتشفت ذات يوم أنني سأعيش مرة واحدة فقط.. وبعدها سأموت.. ولا يوجد مجال للعودة مرة أخرى.. هي مثل لعبة أتاري أحصل فيها على فرصة واحدة عندما أفقدها تنتهي اللعبة.. والأسوأ أنني سوف أجد أمامي بعد ذلك مجموعة ضخمة من الأسئلة التي كان من المفترض أن أجهز إجاباتها منذ الآن.. ثم تذكرت شيئا آخر..

أنني يوما ما ربما أجد نفسي جالسا مع أحد أبنائي.. سأكون مطالبا وقتها أن أقنعه أن أباه كان رجلا مدهشا.. كان يرى أشياء لا تعجبه.. ويشعر أنه يعرف طريقا – حتى لو كان طريقا غير ممهد- للتعبير عن ذلك.. ولم يتردد في أن يبذل قصارى جهده.. فقط لكي يشعر أنه فعل شيئا كان قادرا عليه.

لن أحكي شيئا للقارئ عن الكتاب في المقدمة.. فما سأقوله سيكتشفه بعد لحظات.. ولكني سأنصحه عندما أكتب المقدمة أن يقرأ الكتاب.. بالتأكيد سيجعلني ذلك أشعر بالسعادة.. وسأطلب منه أيضا أن يسامحني.. إذا لم يسعفني الوقت لكتابة مقدمة.

فهرس (يمكن استنتاج ذلك)

عمر كامل يكتب: الصور النمطية في المجتمع المصري ..... - 7 -

بس نفهمها!! ..... - 9 -

إرجع يا زمان ..... - 11 -

برافو يا حسين ..... - 13 -

مشاهد من المترو ..... - 15 -

Take Away ..... - 17 -

كان صديقي ..... - 20 -

اتفضلوا معانا ..... - 21 -

ألطف الكائنات ..... - 23 -

ثرثرة جنب النيل ..... - 25 -

مشاهد من المترو 2 ..... - 29 -

دنيا خربانة ..... - 32 -

عشرون سببا لعدم قراءة المقال ..... - 34 -

دوايــر ..... - 35 -

فن ذوق أخلاق ..... - 38 -

لو بطلنا نحلق ..... - 40 -

ألش ليلة وليلة ..... - 45 -

زوجة رجل مهم ..... - 47 -

حدوتة مصرية ..... - 49 -

مقال سعيد جدا ..... - 51 -

لحظة من فضلك ..... - 52 -

شئ من الخوخ ..... - 54 -

أوراق مبعثرة ..... - 56 -

خليني جنبك خليني ..... - 58 -

عدت سنة ..... - 60 -

عشرة خمستين ..... - 62 -

آخر الرجال المحترمين ..... - 64 -

فرصـــة ..... - 66 -

عمر كامل يكتب: الصور النمطية في المجتمع المصري

إيه رأيك في العنوان؟ أظن جامد.. شئ ما في جملة "عمر كامل يكتب" يجعلك تشعر وكأنك تقرأ لمفكر عظيم يرتدي بدلة كلاسيكية ويجلس على مكتب فخم في حجرة مغلقة على ضوء مصباح دقيق، ويحتسي فنجانا من القهوة بعد أن طلب من كل من في المنزل ألا يدخل عليه أحد مهما كان السبب.

بينما أنا في الواقع أرتدي فانلة أبوتريكة وأجلس على كرسي في صالون بيتنا لأتمكن من تمديد ساقي على منضدة من الرخام واضعا اللاب توب على ركبتي، وأخشى باستمرار أن تشاهدني أمي لأنها تعتقد أنني من الممكن أن أحطم الرخام بالإضافة إلى أن الصالون مش معمول للحاجات دي. أستمع إلى منير وهو يغني تحت الياسمينة في الليل.. مستخدما سماعات تخرج الصوت في أذني اليمنى فقط بدون سبب واضح (!).. وهو ما يجعلني أشعر بضيق شديد.

هذه هي الصورة الحقيقية التي تختفي تماما تحت هذا العنوان الأنيق.. والسبب ببساطة أن عنوانا كهذا تكرر كثيرا جدا في كل الصحف عندما تجد أحد الجهابذة قرر أن يكتب شيئا.. فتخرجه الصحيفة له بهذا العنوان المثير.. وبالتالي فعندما تقع عيناك على نفس العنوان تشعر أنني جهبذ مثلهم.

يعني هي من الآخر صورة نمطية يرسمها العقل الباطن دون أن نشعر للكاتب الصحفي.. وهي ليست الصورة النمطية الوحيدة التي تعيش بداخلنا.. فمن حسن حظي أننا نتمتع بكم هائل من القناعات الجزافية والصور النمطية في مجتمعنا المصري المعاصر.. وأقول من حسن حظي لأن ذلك يعني أنني لن أبذل مجهودا كبيرا في كتابة المقال.

على سبيل المثال إذا أخبرتك أنني موظف في الحكومة.. ستتخيل فورا أنني مواطن مكتئب لا يحلق ذقنه بانتظام.. وأنني أسير ممسكا دائما بجريدة لتحميني من الشمس وفي يدي الأخرى أحمل بطيخة. في الغالب ستعتقد أنني أصلع وأحاول أن أخفي صلعتي بالعناية المبالغ فيها ببعض الشعرات لتكتسب طولا خرافيا يتمكن من تغطية محيط جبهتي.

ستتخيل أن بيتي ضيق سيئ التهوية ولذلك أجلس فيه دائما مرتديا فانلتي الداخلية..وفي نفس المنزل يوجد بعض الأطفال المزعجين الذين يلعبون ألعابا هدفها الوحيد إزعاجي وأنا أقرأ الجريدة. زوجتي دائما في المطبخ تشتكي من قلة مصروف البيت وأن معدلات التضخم تفوق معدلات النمو.. أو بعبارة أخرى أن العلاوة والمرتب اتنسفوا قبل ما الشهر يبدأ.. بس البركة فيك يا أبو محمد.

وإذا أخبرتك أنني سائق ميكروباص.. ستتأكد فورا أنني إما صاحب لحية أو شارب أو كليهما.. فالحقيقة العلمية أكدت أنه من المستحيل أن يوجد سائق ميكروباص بدونهما.. ستراهن أن مطربي المفضل هو مصطفى كامل وأنني أؤمن أنه مؤسس الفن الجديد دون أن أفهم معنى الجملة. وستتخيل صورتي التي وضعها السروجي في ظهر كرسي الميكروباص وأبدو فيها إما مرتديا ملابس صيفية خفيفة وأقف في أحد شواطئ الإسكندرية.. أو أحضن جيتارا وأنظر في شجن وشرود إلى شئ ما في الاستديو.

ستتخيل علاقتي المتوترة مع زملاء المهنة.. هم أصدقائي في حدود المثل الذي يقول "يا آكل قوتي.. يا ناوي على موتي".. وأن حدود المجاملات بيننا هي أن "أكَنسل" عليه ثم أتصل به لأوفر عليه ثمن المكالمة.

أما إذا همست لك بأنني شاب مليونير..ستشعر أنني أتحدث بنبرة صوت تختلف تماما عن نبرة سائق الميكروباص الذي تخيلته منذ لحظات.. وأنني أرتكب المعاصي والذنوب دون توقف على أساس أن الفقراء فقط يدخلون الجنة. سيحدثك عقلك أن والدي إما حرامي أو انتهازي أو محتكر.. هو شخص بالتأكيد اضطر أن يضحي بمبادئه في لحظة ما من حياته وإلا كيف أصبح مليونيرا؟

ستؤكد لي أنني شاب مستهتر أكبر مشاكله هي صراعه مع ابن مليونير آخر من أجل فتاة.. رغم أن لدي عشرات الصديقات من اللاتي يرتدين ملابس ضيقة أو صيفية بزيادة.. فهذه النوعية من الملابس أصبحت تعبيرا عن مستوى اجتماعي مرتفع بدلا من أن تكون دليلا على مستوى ديني ثقافي منحدر إلى حد ما.

هي كلها مجرد صور تقفز إلى عقولنا دون أن نتحكم فيها رغم أنها لا علاقة لها بالحقيقة في معظم الأحيان. فموظف الحكومة قد يكون وزيرا أو محافظا لا تنطبق عليه أي من ملامح الحياة التي يحفظها كل منا للموظف التقليدي. وربما كان موظفا بسيطا ولكنه يعيش سعيدا راضيا بما قسمه الله له.

وسائق الميكروباص قد يكون شابا من حملة المؤهلات العليا لم يجد له مكانا في سوق عمل يتطلب ما هو أكثر من الكفاءة لدخوله. قد يكون شابا فضل عملا شريفا على غيره من الأعمال التي تمنح ربحا أكبر ودخلا أوفر.

والشاب المليونير قدره أنه وُلد غنيا.. لا ذنب له في ذلك ولا علاقة لذلك بأخلاقه أو سلوكياته.. ومن البديهي أن علاقة العبد بربه هي علاقة روحانية لا دخل فيها للوضع الإجتماعي.. فالثروة ليست معصية في حد ذاتها وإلا ما كان الثري عثمان بن عفان – رضي الله عنه- أحد العشرة المبشرين بالجنة. والتصور القائم على أن الأغنياء هم مجموعة من اللصوص في مظهر أنيق هو تصور يعكس في الواقع صورة من صور الحقد الإجتماعي.. وربما محاولة تشويه نجاح الغير.

فانتشار الصور النمطية في المجتمع يعطيك انطباعا أن الناس أصبحت حافظة مش فاهمة.. فتلك الصور تسيطر على كل شئ حتى أن كتابة المقالات أصبحت عملا تقليديا.. فلابد أن تبدأ بالمقدمة ثم المضمون ثم الخاتمة.. ولكسر هذه الصورة المحفوظة سأجدد في الخاتمة هذه المرة أو بمعنى أدق هبوّظها كنوع من التجديد.. لا تعتقد أن السطر القادم به خطأ مطبعي.. ولكني قررت أنني ستندهش عندما تجد أن ولكسر هذه وربما محاولة قد يكون ولا علاقة لذلك.

بس نفهمها!!

لما تبص حواليك في كل الاتجاهات وتشوف صورة واحدة..ولون واحد..إسود في إسود..ده معناه حاجة من اتنين (أو تلاتة) يا إما النور قطع أو إنك فقدت البصر لا قدر الله...أو إنك عندك اكتئاب رهيب...طبعا أول وتاني حاجة مش هتقدر تتصرف فيهم...إنما موضوع الاكتئاب ده أكيد ليه حل.

سمعت فريد يشدو مؤكدا إن الحياة حلوة..بس...آه من بس دي..تخيلوا كيف تكون الحياة بدون هذه الكلمة القصيرة المكيرة..كلمة من حرفين ولكنها دائما لديها قدرة عظيمة على تدمير جمل تسبقها...تخيلوا عروض شركات المحمول من غير "بس"...موبينيل هتديك عشرين دقيقة "بس" من موبينيل لموبينيل..فودافون هتديك رصيد زيادة "بس" لازم تخلصه في خلال شهر...الحكومة هتزود المرتبات "بس" هتغلي البنزين...عايز أقول أمثلة كمان "بس" خايف أبقى رغاي.

فريد بأه كان طيب جدا في ال بس بتاعته..الراجل قال الحياة حلوة.."بس" نفهمها..وبما إن الأغنية قديمة ورغم كده الرقابة مش معترضة عليها..إذن فريد كلامه صح والحياة فعلا حلوة..بس مطلوب مني بأه إني...أفهمها..وبدأت أستخدم ذكائي عشان أفهمها ونزلت الشارع عشان أفهم كيف تكون الحياة حلوة.

ورغم أن شوارع العاصمة ليست هي المكان الأفضل للتأكد من جمال الحياة إلا إني وجدت الوصفة السحرية واندهشت إزاي الناس مش شايفة الحل رغم إنه متعلق في كل الشوارع...احسبها صح..تعيشها صح...وقلت في سري يا لروعة حكومتنا...إنها تقدم لنا نماذج مشرفة تمكنت عن طريق حسبة صحيحة من رؤية حياة حلوة جميلة...عندك مثلا الست سعاد اللي بطلت تاكل عشان تجيب لبس العيد لولادها...يا لعزيمة المصريين أحفاد الفراعنة.. ووفاء اللي وفرت فلوس الدواء عشان تجيب لابنها لعبة..كم أنت عظيمة يا وفاء..واكتفيت بالمثالين دول خوفا من إني الاقي إشادة بعم حسن اللي باع ابنه التالت وبثمنه اشترى بلاي ستيشن لإخواته الاتنين.

وجالي إحباط لأني فشلت في أول محاولة لفهم الحياة...فأنا للأسف مش زي هؤلاء الأساطير..أنا شاب مترف لا يعمل بالطاقة الشمسية وبالتالي لما بجوع باكل وغير مزود بخاصية الاصلاح الذاتي وعشان كده لما ببقى عيان باخد دوا.

وقعدت عالقهوة وإذا بالكابتن حسن شحاتة منور الشاشة في مؤتمر صحفي عالمي..ويسأله أحدهم: إزاي يا كابتن قدرت تتعامل مع التحركات القطرية لمهاجمي الكاميرون وإزاي العمق الدفاعي بوجود ليبرو لم يؤثر

على الفعالية الهجومية للمنتخب؟....يرد الكابتن حسن بثبات: احنا كنا بنلعب السهل وربنا كرمنا والحمد لله...أخيرا لقيتها!!..يالك من عبقري أيها المعلم...هو ده السر اللي يخليك تشوف الحياة حلوة..إلعب السهل.

فكرت شوية في سبب المشاكل الموجودة في العالم ولقيت إن أتخن المشاكل حلها سهل جدا..السبب الرئيسي لأي صراع هو تعارض المصالح وحل المشكلة دي مش في تجنب هذا التعارض ولكن في القضاء على المصالح نفسها..ولو شفت صورة لكوكب الأرض من الفضاء هتلاقي إن الحدود بين الدول مش موجودة ولكن في واحد ابن حلال هو اللي عمل الحدود دي وهي سبب كل مشاكلنا تقريبا...تخيلوا لو كان في دولة واحدة اسمها جمهورية الأرض!!...كنا ساعتها هنوفر المليارات اللي بتتصرف على الجيوش لسبب واحد..إن أساسا مش هيكون في حاجة اسمها جيوش..وبالفلوس دي كنا هنحل مشاكل الفقر والجوع والمرض ونستريح من قناة الجزيرة كمان..ولكن الانسان هو اللي صنع مشاكله بحبكة درامية يصعب حلها.

على المستوي الشخصي فكرت في ايه هي مشاكلي دلوقتي حالا..ولقيت إن أنا السبب في معظمها.. وآخرها إن أنا اللي بدأت أكتب المقال ده وبالتالي بقي مطلوب مني أخلصه.. وبما أن مشاكلي ليست موضوعا يمتع القارئ أو حتى الكاتب فمفيش داعي للمزيد.

ولكن السؤال الأهم..هل فعلا المشاكل هي اللي بتخلي الحياة صعبة كئيبة...هل حياتنا من غير مشاكل هتكون أجمل..مافتكرش..حياتنا من غير مشاكل هتبقى زي طالب كل يوم بيذاكر أمثلة محلولة مكررة وفي أحسن الأحوال إذا لم تكن مملة ستكون غير مفيدة..ورغم إني مجربتش الموضوع ده بس أعتقد إن المشاكل هي ملح الحياة..ورغم إن التعبير يبدو غير بليغ إلا إنه في الواقع...غير بليغ فعلا!

المشكلة إننا بنعتبر المشكلة مشكلة رغم إنها في الواقع مش مشكلة...أنا مثلا فضلت أفكر في الجملة اللي فاتت عشان أحاول أكتبها بأسلوب أحسن رغم إني أعتقد ان كلكوا فهمتوها بسهولة..أنا شايف إن كل مشكلة هي عبارة عن فرصة..فرصة للنجاح..فرصة للابداع..زي ما بيقولوا الحاجة أم الاختراع..وحتى لو كانت فرصة للفشل..ممكن نتعلم من عمنا إديسون اللي عمل التجربة مائة مرة وفشل ونجح في المرة مائة وواحد..والأهم إنه في كل مرة كان بيتعلم من المرة اللي قبلها.

الناس في الدنمارك والسويد بينتحروا عشان مفيش عندهم مشاكل ولأن حكوماتهم الفاشلة حلت كل مشاكلهم..عشان الناس بس تعرف إننا في نعمة مش حاسين بيها..عندك حق يا فريد الحياة حلوة أوي...بس نفهمها.

إرجع يا زمان

لا أعرف لماذا تذكرت هذا في مثل هذا التوقيت..ولكني اكتشفت أنني لم أتحدث أبدا عنه طوال حياتي..ربما لأنني لم أجد الشخص الذي من الممكن أن يستمع إلى شئ كهذا أو الموقف الذي يناسبه..وهنا برزت ميزة هذا الاختراع العبقري "الكيبورد" الذي يمنحك فرصة أن تقول ما تشاء بدون مقاطعة أو اعتراض..حتى لو كنت تقول شيئا كهذا.

هل تريدون معرفة هذا "الهذا"..أنا أيضا أشعر بالتشوق الشديد للكتابة عنه..إنه احساس ممتع أن تكتب عن شئ ظل سنينا طويلة محبوسا في عقلك دون أن يصل إلى حنجرتك..هل أصبحت المقدمة طويلة؟؟..أعتقد أنه من الممكن كتابة سطر إضافي لاشباع رغبتي في التغليس ثم مسحه قبل نشر المقال (وهو ما حدث بالفعل).

تذكرت أيام الطفولة حينما كنت أحب البطيخ بشكل هستيري..الغريب أنني لم أكن أحبه لكونه بطيخا ولكن لاحتوائه على بذر..وكانت عندي قناعة أن بذر البطيخ هو كائن حي وأنه يحاول الاختباء مني على طريقة حرب العصابات..وكم كنت أشعر بالاثارة عندما ألمح نقطة مظلمة في البطيخ فاستنتج أن هناك بذرة تختبئ في الأعماق فأهوي عليها بالرمح – أو الشوكة – وأشعر بلذة الانتصار.

تذكرت أيضا تجاربي الفيزيقية التي كنت أحاول فيها التفوق على الحسن بن الهيثم..حيث كنت أشكل بأصابعي دائرة صغيرة جدا وأضعها أمام عيني..وأندهش وأتعجب وأذبهل وأشمأنط كيف يمكن أن أري الكرسي الكبير من خلال هذه الفتحة الضيقة !!..وأعتقد أنه - لولا أن أحدهم سبقني – كنت سأكون أنا أول من يخترع ثقب الباب.

وتذكرت ألعابنا التي كنا نستمتع بها بشدة..وتوقفت أمام لعبة "صلح"..وكانت أول مرة انتبه إلى اسم اللعبة..فاللعبة كانت أن يقوم شخص مجهول بضربك دون أن تراه ثم تجد نفسك مضطرا لاستخدام قدرتك على الرؤية من قفاك لمعرفته..وبالتالي فلم يكن للعبة "صلح" أي علاقة بالاصلاح..اللهم إلا إذا كان هذا هو الاصلاح الذي يقصده المسئولون عندما يؤكدون أن "الاصلاح بدأ عندنا من زمان".

وتذكرت أيضا لعبة "تماثيل اسكندرية" التي تعتمد على مهارتك في أن تتصرف كتمثال لا يتحرك وإلا خسرت..وكنت أعتقد بسبب اسم اللعبة أن تماثيل الاسكندرية فقط هي التي تتميز بأنها لا تتحرك..الغريب أن اللعبة كانت لابد أن تبدأ بترديد نشيد ملئ بالحكم حيث يقول "تماثيل اسكندرية يا بنات العباسية..بسكو مصر..والتماثيل مابتتحركش"...ولا داعي للتعليق.

وكم كنت أستمتع عندما استدرج أحدهم فأقول له "واحد فلح والتاني مافلحش..وواحد نجح والتاني إيـــه؟؟؟"..فيرد بسذاجة "مانجحش"..فأهلل من الفرح قائلا "بتقول على نفسك جحش..هاهاها"...وتذكرت أيضا الحركة الشهيرة التي كنا نرد بها على المصافحة باليد..ولم أكن أعرف معناها حتى قيل لي أنها محاكاة لزجاجة كاتشب وأنك بهذه الحركة تمثل أنك تضع كاتشب على ساندوتش الهمبرجر الذي هو في الواقع يد الشخص الممدودة لك.

هل كبرنا؟؟..بالتأكيد

هل تغيرنا؟؟..ربما

هل تغيرت حياتنا؟؟..لا أعتقد..حتى الآن ما زلنا نملأ الشوارع بالأفراح لانتصارات لا تختلف كثيرا عن انتصاراتي على بذر البطيخ..وبشكل أو بآخر ما زلنا حتى هذه اللحظة بنلعب صلح على نطاق أوسع ونجد أنفسنا نتصرف كتماثيل اسكندرية حتى نكسب..حتى أن البعض ما زال بعد كل هذه السنين يرد على اليد الممدودة للسلام..بالكاتشب الأحمر.

** جميع الحقوق.. جميع الحقوق.. جميع الحقوق.. جميع الحقوق.. جميع الحقوق..متهيألي كده بقت محفوظة..تعاطفك لوحده مش كفاية..عقم ولو بكلمة.*

برافو يا حسين

كان يسير بخطوات متثاقلة كمن لا يعرف وجهته ولا يحاول أن يعرفها...رسمت ملامحه مزيجا من الحزن واليأس وحملت مشيته معاناة من يحمل جبلا من الهموم ويسير به على قدمين...توقف وهو في منتصف ذلك الجسر الشهير "كوبري الجامعة" وتوجه إلى السور...من المؤكد أنه يتأمل روعة المشهد...أعتقد أن سر جمال النيل الذي يجعلنا نتأمله بهذا الشكل أنه يمثل أكبر مساحة خالية من البشر في قلب القاهرة...شعرت به يتساءل كم هي جميلة حين تتخلص من سكانها...لا أعرف ما الذي يجعل شابا في مثل عمره حزينا إلى هذه الدرجة .

كان الجو العام مليئا بالبهجة كالعادة...أعتقد أنه يستمع إلى هذا الحديث الضاحك بين ذلك الشاب وخطيبته – أو هكذا تبدو- أو إلى الراديو الذي لا يصدر إلا بعض الضوضاء لتسلية ذلك الصياد الذي يعرف جيدا أنه لن يصطاد شيئا...نظر إلى بعض الأطفال وهم يلعبون حوله وكأنه يتمنى أن يتحول إلى واحد منهم .

ثم فجأة وبدون سابق إنذار وقف على سور الكوبري...بدأت الأصوات تتعالى وبدأ الناس في الابتعاد عنه بشكل غريزي رغم أنه لا يمثل لهم أي تهديد...بالعكس لقد قرر أنه لن يزعج أحدا بعد الآن..إلا أنه لم يقفز كما توقع الجميع...هل هي غريزة البقاء؟..لا أؤمن إطلاقا بوجودها ولكني أعتبره الخوف من المجهول..لا أحد يعرف مصيره بعد الموت وبالتالي فهو يتجنبه بشده...ولكن لو كان البقاء غريزة لما وجدنا من يطلب الشهادة في الحروب ولكنه يتمناها لأن الإيمان قد حول المجهول إلى يقين. أعتقد أن هذا الشاب يعرف جيدا مصير المنتحر وبالتالي فمن المؤكد أنه رأى في دنياه ما جعله يعتقد أنه مهما حدث فلن يرى ما هو أسوأ .

حاولت أن أخمن دوافعه...ربما يكون مثل ذلك الطالب المتفوق الذي كافح واجتهد طوال خمس سنوات فترفض الجامعة تعيينه لأنه غير لائق اجتماعيا..أو مثل تلك المرأة التي قتلت طفلها ثم انتحرت لأنها لا تقدر على اطعامه...أو ربما يكون ما هو أسوأ..ولكن حتى ما هو أسوأ هل يعتبر سببا كافيا للتخلي عن الحياة؟؟
بعضنا يرى أن الحياة نفسها هدف وليست وسيلة...وأن الوسائل لتحقيق هذا الهدف هي الأكل والشرب...والبعض الآخر يرى أن الحياة وسيلة..وأن الهدف منها هو تحقيق شئ ما...ولكن هناك أيضا من يرى أن الحياة ليست وسيلة ولا حتى هدف...ولكنها كما وصفها اللمبي "عايش بقالي كتير"..الحياة هي مجرد تضييع وقت أو هي تعامل مع أمر واقع هو أننا أحياء وبالتالي علينا أن نتصرف كما يتصرفون.

كل هذه أسباب لتفسير دوافع الحياة ولكن متى نتخلى عن هذه الأسباب لنقرر ترك هذا العالم كما يفعل هذا الشاب؟ ما هو الشئ الذي لا يستطيع الحياة بدونه؟ الطعام ؟ الشراب؟...لا أعتقد .يستطيع الانسان أن يعيش بدون طعام لأيام وبدون مياه لساعات..حتى الهواء يستطيع أن يستغنى عنه لدقائق...يستطيع أن يعيش دون

أن يملك مليما واحدا كما يعيش المتسولون..عاش هتلر بدون أصدقاء..وعاش المعتقلون بدون حرية..ولكن الانسان لا يستطيع الحياة لثانية واحدة بدون "أمل".

بمجرد أن يصل مخزون الأمل لدينا للصفر المطلق تفقد الحياة معناها وتصبح بلا قيمة...مهما كانت حياتنا صعبة ومهما اقتنعنا أننا نعيش فقط من أجل أن هذا هو الطبيعي..مهما تأكدنا أنها ليست تجربة ممتعة أن نعيش على هذا الكوكب..فإنه بدون شك لا يزال لدينا أمل في ما هو أفضل حتى لو لم نشعر بذلك .

أعتقد أن هذا الشاب قرر ترك حياته لأنه لا يملك الحد الأدنى من الأمل الذي يجعل انسانا فقيرا معدما بائسا ضائعا قادرا على الحياة..إن لم يكن من أجل تحقيق شئ ما في الدنيا فإنه أملا في ما بعدها..ينتحر القادة بعد الهزيمة لأنهم فقدوا الأمل الذي عاشوا من أجله..وينتحر المواطنون في الدول الغنية عندما يفقدوا الأمل في حدوث ما هو جديد أو لأن ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم تحول إلى حاضر طويل..ودائما يرتبط الأمل بالمستقبل فعندما تتحول حياتك إلى مجرد حاضر طويل..لا يصبح هناك مكان للأمل .

مرت كل تلك الأفكار في ذهني سريعا والشاب لا يزال واقفا على سور الكوبري...تمنيت أن ينتهي هذا المشهد لأن مزيدا من الأفكار سيجعل المقال طويلا جدا (!)..ولكني لاحظت شيئا غريبا.. يوجد حبل يربط هذا الشاب في أحد أعمدة الإنارة ويبدو أنه تعمد إخفاءه.. وقبل أن استخدم ذكائي للتفسير نزل الشاب من على السور ثم سمعت صوتا من خلفي يقول..cut" برافو يا حسين".

مشاهد من المترو

لم أكن أتخيل أبدا أن تتوافر في مكان واحد كل هذه المشاهد التي تلخص حياتنا كمصريين...ولكن بعد حوالي عشر سنين من التعامل مع المترو اكتشفت أن محطة المترو اللي تحت الأرض هي نموذج مصغر لحاجات كتير بتحصل فوق الأرض.

المشهد الأول:

تبدأ رحلتك مع المترو مع السلم العادي اللي بينزلك لما هو تحت الأرض...وفي وقت الذروة بتحصل مشكلة كبيرة رغم إن حلها سهل جدا..عندما يكون اندفاع البشر من تحت الأرض أقوى بكتير من الاندفاع في الاتجاه اللي نازل..وده بيكون سببه وصول قطار محمل بما يعادل كتيبة من الركاب...يبدأ التصادم في البداية لمدة دقيقة على الأكثر حتى يسيطر فريق الصاعدين على السلم برغم إن الحل سهل جدا وهو إن كل فريق "يمشي على يمينه".

برغم أن المشهد يرمز إلى الفوضى والأنانية إلا أنه من الممكن أن يحمل بعض الإيجابيات ممثلة في سيادة الديموقرطية أو "فرض الديموقراطية"..عشان في النهاية رأي الأغلبية هو اللي مشي وأصبح السلم اتجاه واحد.

المشهد الثاني:

إذا كنت ممن يعتقدون بالخرافة التي تدعي أنه من الضروري شراء تذكرة حتى تستخدم المترو..فأنت بالتأكيد شاهدت هذا المشهد كثيرا..كل ركاب المحطة متجمعين عند شباك واحد من الستة أو السبعة الموجودين..ليس إعجابا بالموظف..ولا لأنه بيبيع بسعر أرخص..ولكن لأن باقي الموظفين مش موجودين لسبب ما (قطعا سبب قهري) والغايب حجته معاه..وإما لأنهم موجودون بالفعل ولكنهم في حالة نفسية لا تسمح لهم بالعمل لأن بعضهم اكتشف بعد التعيين أن طموحه أكبر بكثير من هذه الوظيفة..فبياخد راحة يتخيل نفسه فيها وزيرا للنقل..وأكيد الدنيا مش هتطير (حقيقة علمية).

المشهد بيمثل إلى حد ما مشكلة البطالة المقنعة..وبيعلمنا حقيقة مصرية وهى أنه ممكن يكون في سبع شبابيك تذاكر..وسبع موظفين لبيع التذاكر..وبيقبضوا سبع مرتبات..ولكن برغم كل هذه السبعات ده مش كفاية لمعرفة عدد العمالة "الحقيقية" في المحطة.

المشهد الثالث:

المشهد ده بما أنه في منتصف الرحلة تماما فهو بالفعل بيمثل ذروة الأحداث ولا يخلو من الإثارة والتشويق..يقف المواطن في انتظار القطار محاولا استنشاق أكبر كمية ممكنة من الهواء استعدادا للمصير المجهول داخل العلبة المغلقة..يصل القطار خاطفا الأبصار ويبدأ جيش الرصيف في اتخاذ مواقع هجومية عند الأبواب..ومن باب الإثارة يتعمد السائق تأخير فتح الأبواب لثانيتين يتبادل فيها الجيشان نظرات التحفز والتهديد والوعيد..

وبمجرد فتح الأبواب..تبدأ معركة لا يتمكن أحد من وصفها لأن مدتها لا تتعدى الثواني الثلاث..وبرغم إجماع الحكماء على أنه في أي حرب يخسر الطرفان ويفوز الأقل خسارة..إلا أن معركة باب المترو يفوز فيها الطرفان (!!)..كل اللي عايز ينزل بينزل..والعكس صحيح.

رغم إن الحكومة حاولت توفير حل وسط بتقسيم الأبواب بين الجيشين..إلا أن المشهد بيرمز لرفض المواطن لأي قرار بمجرد أن تتوافر فرصة لمخالفته..حتى لو كان القرار الحكومي يخدم مصلحته..وفي أمثلة كتير زي ربط حزام الأمان وطفاية الحريق والضرائب وغيرها.

المشهد الرابع:

أول مرة ركبت المترو كنت بسأل نفسي ليه الجيش اللي بيكون نازل دايما بيكون أكثر حماسا من الجيش اللي عايز يركب..كنت بشوف في وجوههم قبل فتح الباب لهفة رهيبة للمعركة وإخلاصهم ده أثار إعجابي..لحد ما ركبت العربية واكتشفت سر حماسهم..إنها غريزة البقاء..وقد ثبت علميا أن الانسان لا يستطيع الحياة بدون الأكسجين أكثر من أربع دقائق..وعلى هذا الأساس تم تحديد مواقع محطات المترو وقياس المدة الزمنية بين المحطات حرصا على سلامة الركاب.

ومراعاة لكبار السن والمسنين وهم في حاجة للأسف لبعض الأكسجين خلال الأربع دقائق..معلش لازم نستحملهم عشان نلاقي اللي يستحملنا..فقد تم تزويد عربات المترو بشبابيك رائعة..الشباك بيفتح بميل مدروس بحيث أنه يؤدي لخروج الأكسجين من العربية وليس العكس..وبالرغم من أن كوكب الأرض ملئ بالشبابيك التي من الممكن أن تؤدي إلى دخول الأكسجين..ولكن شباك المترو ليه أهداف استراتيجية..

المشهد بيدل على إن كل شئ مدروس بشكل علمي..أهداف الشباك ببساطة هي توعية الشعب بأهمية المسطحات الخضراء في حياتنا التي تنتج الأكسجين..وكأن الرسالة هي لو كل واحد فينا قطع شجرة الشارع هيبقى زي عربية المترو دي..وده لوحده كفاية..كمان الشباك بيزيد من إحساسنا بمشكلة الزيادة السكانية ونقدر نلاحظ ده من شعار الحملة "وقفة مصرية" لتذكير الناس بالوقفة بتاعة المترو..وده لوحده كفاية برضو.

المشهد الخامس:

تبادل الأدوار وتبادل الآراء..في المشهد السابق تسمع هذه العبارة "يا جماعة المفروض اللي طالع يستنى اللي نازل"..وفي المشهد الحالي تسمع نفس الشخص يؤكد "يا جماعة مش معقول..لازم اللي نازل يستنى اللي طالع".

عندنا للأسف مصلحة الفرد هي اللي بتحدد آراءه ومواقفه..وده بيحصل على كل المستويات للأسف.

تنتهي الرحلة..ولكن برغم كل هذه المشاهد..يبقى المترو الذي كان حلما في الماضي شاهدا على قدرتنا على الإنجاز..وعلى فكرة أنا شخصيا..بحب المترو.

Take Away

- إذا أردت شيئا بشدة أطلق سراحه.. فإن عاد إليك.. فإنه أهبل.. وإن لم يعد.. فإنك أهبل ونص.
- لكي تصبح شخصا ناجحا..حاول أن تنام قليلا.. وأن تحلم كثيرا.
- الزوج "المثالي" مطالب بأن يقدم لزوجته سنويا هدية في عيد زواجهما.. وعيد الحب.. وعيد الأم (إذا كانت أما).. وعيد ميلادها.. وعيد المعلم (إذا كانت مدرسة).. وعيد الشرطة (بسبب حسها الأمني).. وعيد العمال (بمناسبة العلاوة)..أما الأعزب فببساطة ليس مضطرا لكل ذلك.
- هناك شعوب تأكل لكي تعيش.. وشعوب تعيش لكي تأكل.. أما نحن فإننا نأكل ونعيش ولا نجد أهمية للتفكير في أشياء فلسفية كهذه.
- كنت أعتقد أنني ذكي حتى اكتشفت أنني الوحيد الذي يؤمن بذلك.
- الفرق بين البنات زمان والبنات دلوقتي هو نفس الفارق بين أغنية قديمة تقول "مكسوفة.. مكسوفة منك.. مش قادرة.. مش قادرة أقولك".. وبين أغنية إليسا "وبيستحي.. بعرف حبيبي بيستحي".
- الأهرامات العظيمة هي أكبر دليل على كسل المصريين منذ القدم. فالكسل هو الذي جعلهم يقللوا من كمية الحجارة كلما ارتفع البناء.
- قرأت مذكرات العظماء على أمل أن أصبح واحدا منهم.. ثم اكتشفت أن قصص نجاحهم كانت دائما تخلو من قراءة مذكرات غيرهم.
- لو تحقق لي كل ما تمنيته.. أعتقد أنني كنت سأصبح أتعس كثيرا مما أنا فيه الآن.. الحمد لله.
- الساعة الآن التاسعة والنصف.. الساعة الآن العاشرة إلا ربع.. الساعة الآن العاشرة تماما.. هكذا مرت نصف ساعة من حياتي.
- لماذا نهاجم اللاعب الذي يعترض على الحكم فيحصل على انذار بدون داع.. بينما نحن نسب الحكم ونسب أباه ونسب أمه إذا أخطأ.. ونحصل على ذنوب بدون داع.
- الفشل لا يعني بالضرورة أن خطأ ما حدث أثناء تنفيذ الخطة.. ربما كان الخطأ في الخطة نفسها.
- يوما ما ستدرك أنك لا تستطيع أن تعيش بدونها.
- ربما فكرت في المقصود من الجملة السابقة.. ستجد أن أول من فكرت فيها هي أغلى من حولك.. فحافظ عليها.
- المصري حويط من يومه.. لا تصدق أن الفراعنة بنوا الهرم حبا وتقديرا لخوفو.. فربما كانوا يريدون التأكد أنه لن يخدعهم ويهرب من قبره.
- الندم مرض.. لا يمكن علاجه ولكن يمكن الوقاية منه.
- الفرق بين رموز الماضي ورموز الحاضر هو نفس الفرق بين سعد زغلول وسعد الصغير.. وبين جمال عبد الناصر وجمال حمزة.. وبين أبي العلاء المعري وأبي الليف.
- لا أحد يستطيع أن يهينك حقا إلا إذا سمحت أنت له بذلك. جملة قرأتها وكل يوم أدرك عبقريتها.
- اكتشفت أنني كنت طفلا شديد الغباء.. فقد كانت أمي تقول لي "كل عشان تكبر" ورغم ذلك كنت آكل.
- ذات يوم قابلت فتاة نجما مشهورا صدفة في الطريق.. استوقفته للحظات وطلبت منه صورة وتوقيعا.. منحها الصورة والتوقيع ثم افترقا.. أيهما كانت سعادته أكبر؟
- الشعب المصري متدين بطبعه.. كريم بطبعه.. شهم بطبعه.. ابن بلد بطبعه.. دمه خفيف بطبعه.. متسامح بطبعه.. ورغم أني " بَطابعُه" من زمان.. لم ألاحظ شيئا من هذا. (نأسف للألش)

- لست مقتنعا بالسيارات الفارهة.. لأن جزءا كبيرا من ثمنها يكون مقابلا لشكل خارجي مبهر.. وأنا لست مضطرا لإنفاق الملايين لإسعاد الناس في الشارع بمظهر سيارتي الذي لا أشاهده من الداخل.
- منحته الحياة كل شئ.. إلا القناعة.. فعاش فقيرا ومات حزينا.
- الحياة مثل قيادة السيارات.. ربما تتعرض سيارتك للايذاء بسبب خطأ ارتكبته أو بسبب خطأ ارتكبه غيرك.. فحاول أن تتجنب كليهما.
- أحيانا نحاول أن نتذكر كيف ننسى.. وأحيانا نعاني لأننا ننسى كيف نتذكر.
- قالت له أنه أول انسان في حياتها.. وقال لها أنها أول انسانة في حياته.. لا يمكن أن يكون ذلك حقيقيا إلا إذا كانوا يعيشون على المريخ مع مخلوقات فضائية.
- الدنيا ملعب كرة قدم كبير.. فيه اللاعبون الذين يتنافسون من أجل الفوز.. وفيه الحراس الذين يقفون مكانهم خوفا من تلقي الأهداف.. وفيه الحكم الذي يقف على الحياد ليحكم بين الناس بالعدل.. وهناك أيضا من يكتفي بدور المشاهد.. يفرح أحيانا ويحزن أحيانا. حاول أن تقوم بأي دور منهم.. ولكن تجنب أن تقوم بدور الكرة.
- لو لم أكن مصريا لوددت أن أكون مصريا.. ولكن لو كنت أنا مصر.. لما تمنيت أن نكون نحن المصريون.
- من المستحيل أن يكرهك شخص تحبه.
- الموهبة هي الشئ الوحيد الذي تفقده بمجرد أن تتصرف وكأنك تملكه.
- زمان.."لا تعطني سمكة ولكن علمني الصيد".. الآن.."لا تعطني سمكة ولكن علمني كيف أنشل محفظتك دون أن تشعر لأشتري وجبة سمك كبيرة.. وبالمرة هات السمكة مش هتخسَر".
- ما الذي حدث؟.. كان كل شئ يسير على ما يرام ثم فجأة..كبرنا.
- إذا أردت أن تعرف ماذا أصاب الدول العربية.. قم بزيارة شارع جامعة الدول العربية يوم الخميس بالليل.
- أسوأ ما في برامج التوك شو.. أنها تحولت بالفعل إلى توك شو.
- فقط في مصر.. الصرف الصحي غير صحي بالمرة.. جامعة القاهرة تقع في محافظة الجيزة.. النادي الأهلي يوجد في الزمالك.. الأغلبية تكره حزب الأغلبية.. محور 26 يوليو يتحول بعد مسافة معينة ليصبح كوبري 15 مايو.. وجميع المدارس جميلة نظيفة متطورة.. وأحيانا منتجة.
- أمركم عجيب أيها المصريون.. فشعار الشرطة "الشعب والشرطة في خدمة القانون"...بينما لا يتوقف محمول أي ضابط عن الرنين طلبا لواسطة أو خدمة غير قانونية لأحد أفراد ذلك الشعب.
- لا تصدق من يدعي أن السينما مرآة المجتمع.. الدليل أننا في مصر نعاني من سيطرة الأفلام الكوميدية.
- منتهى العبقرية أن نستعين بالفراعنة في افتتاح أي بطولة.. فرغم أن ذلك لا يمنح المشاهد أي متعة.. و لكنه يبرر عدم استخدام التكنولوجيا لزيادة المصداقية..وتوفير التكاليف.
- الحياة فرص عليك أن تسبق غيرك للحصول عليها..انظر إلى قدميك وأنت تمشي.. ستجد أنك لكي تصل إلى أي مكان لابد أن تتسابق قدماك.. فاليمنى تسبق اليسرى.. ثم تسبق اليسرى اليمنى.. وينتهي السباق فقط عندما تتوقف قدماك.
- نصيحة.. تقبّل أي نصيحة.

- حرب أكتوبر علمتنا أن لا وجود للمستحيل.. وكوبري أكتوبر علمنا أن المستحيل هو أن تصل في ميعادك.
- الزواج مثل الموبايل النوكيا.. كل الناس يفضلونه رغم عيوبه دون أن يعرفوا السبب.
- أتمنى أن تحمل اجتماعات القادة العرب اسما آخر يختلف عن "القمة" العربية.. فقط لكي نشعر أن لدينا ما هو أفضل.
- الحب من أول نظرة مثل الاعتراف من أول قفا.. كلاهما استسلام بدون مقاومة.
- الإحصائيات تؤكد أن أكثر الكلمات تداولا في نشرات الأخبار هي "عملية السلام".. ولكن الصور التي تحملها نفس النشرات لا تعبر عن ذلك إطلاقا.
- علمتنا الحياة أن أقدر الناس على طعنك هم أقرب الناس إليك.
- عندما تحبها.. لا تحبك.. وعندما تحبك.. لا تحبها.. وعندما تحبها وتحبك.. لا تجد المال.. وعندما تحبها وتحبك وتجد المال.. يعترض أبوها.. هو في إيه؟
- صدقني قدراتك لا حدود لها.. كنت أتمنى أن أجد عشرين جملة.. والآن أكتب الجملة رقم ثمانية وأربعين.
- مازلنا في انتظار الحل.. دون أن ندرك أن هذا الانتظار هو المشكلة بعينها.
- حبيبي عايزله ترتر.. منين أجيبله ترتر.. ده الواد بياع الترتر حبسوني وحبسوه.. الاستخدام السيئ لقانون الطوارئ.
- النادي الأهلي.. الاستخدام السيئ للفلوس.
- نادي الزمالك.. الاستخدام السيئ لأدوية الضغط.
- المفتش كرومبو.. الاستخدام السيئ لنباهة المصريين.
- أسامة منير.. الاستخدام السيئ للتليفون.
- تامر حسني.. الاستخدام السيئ لشعر الصدر.
- إعلانات ميلودي.. الاستخدام السيئ لقلة الأدب.
- لا تصدق من يدعون أنه لا توجد جريمة كاملة.. هم يعتقدون ذلك لأن الجريمة الكاملة ببساطة لن يكتشفها أحد... من الآخر.. اتكل على الله.
- "قالت لكل الأصدقاء.. هذا الذي ما حركته أميرة بين النساء.. سيستدير كخاتم في إصبعي.. ويشب نارا لو رأى شخصا معى.. سترونه بيدي أضعف من ضعيف.. وترونه ما بين أقدامي كأوراق الخريف".. المرأة في حالتها الطيبة.
- منطقي جدا أن تجد كل الرجال في حالة سعادة هستيرية في حفلات الزفاف.. فالأعزب يفرح لأنه فلت هذه المرة أيضا.. والمتزوج يفرح لأنه وجد زميلا سقط في نفس الفخ.

كان صديقي

هو صديقي الذي لم أحصل يوما على صداقته رغم أني حاولت بكل الطرق.. حاولت كل يوم وكل ساعة وكل لحظة أن أقنعه أنني أفضل مما يتصور.. ولكن المحاولة في حد ذاتها كانت تدفعه إلى الاتجاه المعاكس.

كان مقتنعا بشكل لا يقبل الشك أنني أبعد ما يكون عما يتمنى.. وللأمانة فإنه كان محقا.. ربما كان يتمنى لي الخير بأكثر مما أتمناه لنفسي.. ولكن نظرته لي كانت أكثر ما يحزنني على الإطلاق.. كانت تجسيدا لمعنى فشل أراه أمامي باستمرار.

قررت أن أتحدث معه بصراحة مطلقة للمرة الأولى.. وربما تكون الأخيرة فقد تعلمنا أن الكلمات الصريحة دائما تكون هي الأخيرة.. كيف نصبح أصدقاء بينما لا نتبادل سوى كلمات العتاب والتوبيخ.. لم تكن إجابته إجابة للسؤال وإنما استنكارا له.. كيف تدعي أننا أصدقاء.. الصداقة هي علاقة اختيار ولكني أعرفك مضطرا.. معرفتك هي أسوأ أمر واقع أتعايش معه.

كنت أدافع عن نفسي بينما أنا مقتنع تماما بكل ما يقول.. لماذا نرفض دائما الاقتناع بأننا لسنا الأفضل؟.. بل إن ما ينصحني به هو في الواقع أفضل ألف مرة مما أنا فيه الآن.. والمدهش أن تحقيقه ليس مستحيلا أو حتى صعبا.. تسألني لماذا لم أحققه؟.. ها أنت تتحدث مثله.

كان يتحدث عندما أتحدث ويصمت عندما أصمت.. وكان نقاشا أبعد ما يكون عن التحضر.. وتذكرت الحكمة التي تقول "لا تجادل الأحمق فقد يخطئ الناس في التفريق بينكما".. نظرت إليه في صمت فوجدت أنه بالفعل من المستحيل أن يفرق أحد بيننا.. إننا متطابقين تماما شكلا وموضوعا.. لا داعي لذكر الأسماء فهذا لن يغير من الأمر شيئا ولكني متأكد تماما أنه يقرأ الآن هذا الكلام.. لسبب بسيط.. لأنه هو الذي كتبه.

اتفضلوا معانا

بعد قضاء الربع ساعة الشهيرة اللازمة للتفكير في مقدمة ..وبعد قضاء خمس دقايق إضافية في محاولة اقناع نفسي ان مش كل مرة هكتب نفس الكلمتين عن إني مش لاقي مقدمة لأن ده في إحراج ليا..وبعد قضاء تلات دقايق في كتابة الكام كلمة اللي فاتو...أحب أقول ان المقدمة خلصت والحمد لله.

المشكلة التي تواجهني في هذه اللحظة إني جعان جدا وده تأثيره عليا بيتجاوز الحدود الطبيعية لتأثير الجوع على الكائن الحي وربما الميت كمان..واكتشفت إن الأكل بيشغل ركن خفي بالغ الأهمية من حياتي بما لا يتفق إطلاقا مع وزني!!..ولكن بما ان من أعراض الجوع عندي إني بفكر كتير ..فاكتشفت بمحض الصدفة إن الشعب المصري كله عنده نفس المشكلة..وهي إن الأكل واخد أكبر من حجمه في حياتنا...إزاي؟

من المعروف إن الأمثال الشعبية تعتبر من الحاجات اللي بتعبر عن طريقة تفكير الشعب..وعندنا إحنا بقى الأمثال اتفقت في حاجة واحدة بس وهي وجود الأكل في المثل حتى لو لم يكن هناك أي علاقة من الممكن أن تربط الأكل بالموقف اللي المثل بيتكلم عنه..ولكن واضح إن وجود الأكل في أي جملة بيزود نسبة وصولها إلى عقل اللي بيسمع وقلبه ومعدته.

إكفي الإدرة على فمها..تطلع البنت لأمها!!...وبعد تشكيل لجنة من علماء الطب والفلك والتاريخ والجغرافيا والكيمياء واللغة (لجنة كبيرة يعني)، اتفق العلماء على أن التفسير الوحيد القادر على ربط كفي إدرة فول بطلوع بنت لأمها هو الآتي..أن الأم كانت ساكنة في الدور التاني وبنتها ساكنة في الدور الأول..ولسبب لا تعرفه سوى الأم فقد قررت أن تعلق قدرة الفول على حبل الغسيل..فذهب اتنين اللجنة عارفاهم ووقفوا قدام الإدرة وواحد قال للتاني.."يا صاحبي..اكفي الإدرة على فمها..تطلع البنت لأمها"..أكيد عشان تنبهها إن الفول اتدلق (آخر جملة من استنتاج الكاتب).

ولو كنت عايز تحذر واحد صاحبك عزيز عليك أوي..هي جملة واحدة تلخص القضية وتبين خطورتها الشديدة.."اللي يتلسع من الشوربة..ينفخ في الآيس كريم!!"...ولم أجد دليلا طبيا واحدا يؤكد أن اللسعة من الشوربة تسبب الإصابة بالجنون لدرجة أنها تجعل المريض ينفخ في الآيس كريم..إلا في حالة وجود سلاح بيولوجي في الشوربة وعموما مش عايز "آكل بعقلكوا حلاوة".

والموضوع لا يقتصر فقط على الانسان اللي بياكل ويشرب ولكنه وصل للقطط اللي اتهموها ظلما إنها بتاكل وتنكر ولكنها عادة البشر اللي بيجاملوا بعض على حساب القطط بحجة إننا بناكل مع بعض "عيش وملح"..ومش بس الحيوانات ده كمان الموضوع وصل للجماد..فذلك التاجر الكسيب ما شاء الله زي المنشار "طالع واكل..نازل واكل"..والله ومش بس الجماد ده حتى الحاجات المعنوية بتاكل برضو..عندك مثلا الزمن بياكل..وبيشرب كمان...فقد اكتشفت بعد خمس سنين في هندسة إن بقيت انسان "أكل عليه الدهر وشرب" وكل ما أقول كده لحد يقوللي استحمل.. محدش بياكلها بالساهل.

وطبعا مفيش داعي لتكرار الكلام اللي كلنا عارفينو عن ارتباط كل مناسباتنا بأكلات معينة لا يصح ولا يليق أن تؤكل إلا في اليوم المخصص لها..مع إني أعتقد إن المعدة بتاعتنا محدش معلق فيها نتيجة فيها

الأعياد والأجازات الرسمية..والأمثلة كتيرة أوي زي الفسيخ والكحك والعاشورا وحلاوة المولد والكنافة لدرجة إن المناسبة الوحيدة تقريبا الخالية من الأكل عندنا هي ستة أكتوبر..وده بنعوضوا بالاحتفال بالعاشر من رمضان حيث تتجمع الأسرة المصرية لتتناول كنافة النصر بالهنا والشفا.

وشوف برضو إزاي الناس زهقت من الدكاترة اللي بعد أي كشف يقوللك متاكلش ده ولا ده ولا ده ولا ده ولا أقوللك..متاكلش خالص..الناس بقى نفضت للطب بمجرد ما سمعت عن الطب البديل الذي يعالج إنسداد الشريان التاجي بشوربة الزنجبيل بالقرفة الرومي..أما السكر الذي يحرمك من كل الحلويات فعلاجه بسهولة هو مسحوق بذرة الجميز الحجازي مع نفحة الشمركش المغربي.

الأكل جهز الحمد لله..وده معناه إني هعمل (save as) للكلام ده عشان أراجعه بعد الأكل عشان مش بثق في نفسي وأنا جعان..وعموما كل اللي فات ده كانوا كلمتين واقفين "زي اللقمة في الزور" والحمد لله إني قلتهم..واتفضلوا معانا

*جميع الحقوق محفوظة في التلاجة لتقدم ساخنة ..تعاطفك لوحده مش كفاية ..عقم ولو بكلمة ..واللي ياكل على ضرسه ..ينفع نفسه

ألطف الكائنات

حسنا سأكتب شيئا عن المرأة.. ولا أعرف سر هذا الحماس الشديد الذي يتملكني من قمة رأسي حتى أخمص قدمي للكتابة عن هذا الموضوع. أنا الآن أعاني من الجوع الشديد المختلط بالنعاس المركز ولكني أرفض بشدة أن أتحرك دون أن أنتهي من تفريغ كل ما يوجد داخل هذه الجمجمة تجاه ما يسمونه الجنس الناعم.

لماذا يشعر الرجال بالغيظ من النساء؟ لن أعبر عن رأيي هذه المرة حتى أتجنب ردود الفعل الغاضبة من الطرفين.. ولكني سأعرض آراء المواطن المصري بمنتهى الحياد والشفافية.

يقول محمد معتز 24 سنة (وهو شخصية خيالية اخترعتها لأتمكن من انتقاد النساء بحرية) أن المرأة لا تعرف بالتحديد تفسيرا منطقيا لمعظم تصرفاتها.. المرأة هي التي توقظ زوجها من نومه وهي تلكمه لكمات ضعيفة للغاية.. ثم تبكي كطفلة صغيرة مكررة نفس الكلمة بطريقة هستيرية.. "طلقني.. طلقني.. طلقني.. طلقني".. أما الرجل فيستنتج من هذا الموقف أن زوجته تريد الطلاق بشدة وإمعانا في التأكيد يسألها "يعني لو طلقتك هتسيبيني أنام؟".. والزوجة تظل مصممة على تكرار نفس الكلمة دون توقف.

ولكن بمجرد أن يطلقها زوجها لينفذ رغبتها في الطلاق ورغبته في النوم حتى تنفجر باكية !! وهو تصرف غير مبرر حتى لو قالت بعد ذلك أنها تبكي "عشان مكنتش متخيلة إنه هيفرط فيا بالسهولة دي". وهو تصرف يذكرني – والكلام على لسان محمد معتز – بقصة الطفل الأحمق الذي كان يصرخ ليدعي الغرق حتى عندما غرق فعلا لم يجد من ينقذه.

المرأة لا تعرف ماذا تريد فعلا.. ولو أردت دليلا آخر قم بمقارنة بين أداء المرأة وأداء الرجل أثناء عملية التسوق. الرجل يعرف ما الذي يريده بالتحديد وأين يجده ويتخيله جيدا ويحدد أيضا المبلغ الذي يرغب في دفعه وبالتالي يشتري أي شئ بسرعة. المرأة على العكس تماما تشعر أنها تريد شيئا ما. لا تعرف بالتحديد ما هو ولكنها تريده بشدة.. وتظل تبحث عنه في كل المحلات.. وبالطبع لا تجده لأنها لا تعرف أصلا ما الذي تبحث عنه. ويظل البائع يستعرض كل بضاعته أمامها وهي تفكر وتتردد وتصمت وتشرد وتتأمل ثم تنصرف مغادرة المحل دون أن تهتز شعرة واحدة منها تجاه البائع المسكين.

أما مينا محمد شمعون (وهو اسم اخترعته لإثارة الذهن لا أكثر) فيرى أن المرأة ليست ألطف الكائنات وإن كانت تبدو لطيفة في بعض الأحيان. ويرى أن المرأة تصبح لطيفة فقط إذا كنت لطيفا معها. ولكي تعتبرك لطيفا أمامك خيارين لا ثالث لهما.. إما أن تحقق لها كل ما تريد.. وفي هذه الحالة ستشعر بمرور الوقت أنك انسان ساذج.. بالإضافة إلى أنها ستعتبرك منعدم الشخصية وستقول لصديقتها أنك انسان مثالي وهذا هو عيبك الوحيد الذي يجعلك غير مثالي في نفس الوقت، وأنها تتمنى أن تعارضها يوما أو أن تتشاجر

معها.. ستخبر صديقتها بذلك ولن تخبرك إطلاقا حتى لا تغير معاملتك لها ولكي تجد دائما مبررا للاعتراض عليك.

أما الخيار الثاني فهو أن تختلف معها أحيانا ولكن يجب أن تعوض ذلك بأن تمنحها جرعة يومية من الكلام الجميل.. المرأة ربما تكون لئيمة بشدة..عنيدة للغاية.. متمردة بعنف.. ولكنها تنهار تماما بشكل غير منطقي أمام كلمة رقيقة. وهي صفة موجودة في كل امرأة بلا استثناء.. حتى وإن اختلفت قدرتهن على اخفاء الشعور بالسعادة حينها.

الحاج عمر كامل (تشابه أسماء) يرى أن المرأة تستغل الزواج لتحقيق أطماع شخصية لا ينتبه لها الرجل دائما. وهو (الحاج عمر) يرى أنه جاء في الوقت المناسب ليوضح الحقيقة المرة. المرأة تمتلك بالفطرة غريزة الأمومة بينما الرجل لا يعير موضوع الأبوة أي اهتمام إلا بعد أن يصبح أبا بالفعل. الطفلة الصغيرة دائما تلهو بعروستها الصغيرة وتستمتع بتمشيط شعرها والنوم بجوارها، بينما الطفل الأبله لا يتوقف عن شراء المسدسات والبنادق ليقنع نفسه أنه مجرم حرب في طريقه لتدمير العالم.

لذلك تستدرج المرأة الرجل للزواج حتى تتمكن من أن تصبح أما.. ثم تتمكن بعد ذلك بسهولة من إيقاظ غريزة الأبوة بداخله وتحوله من قائد ميداني إلى أب حنون وبالمرة زوج مطيع لأن الأب الجيد لابد أن يكون قدوة لأبنائه.

هذه كانت بعض آراء الشارع المصري.. ولكن لأني بذلت مجهودا في كتابة المقال فلابد أن أعبر عن رأيي المتواضع.. فمع احترامي لمعتز ومينا والحاج عمر.. فأنا أرى أنهم لم يعطوا المرأة حقها الذي تستحقه لكونها أحد أهم مصادر السعادة في حياتنا. المرأة هي الأم أو الأخت أو الزوجة أو البنت وهي التي تعطي للحياة ذلك الشعور بالدفء.

المرأة في حياتنا هي سعادة النهار إذا أشرق.. وهي سعادة الليل إذا أظلم.. وهي ما بينهما من بهجة وسرور. ربما تحدث بعض المشاكل ولكن متى كانت المشاكل شيئا سيئا؟ ألم يكن الشعور بالضيق هو أول ما علمنا معنى السعادة؟

ثرثرة جنب النيل

- أنا هنشر المقال ده..إيه اللي هيحصل يعني؟
- ممكن يقولوا عليك مجنون.
- ربما يكون الجنون هو الوصول لدرجة من العبقرية يعجز الآخرون عن استيعابها.
- عشان كده بيقولوا اللي يزيد عن حده يتقلب لضده.
- وزي ما هما بيقولوا كده أنا بقول إن كلامهم غلط.
- لا يمكن أن يخطئ الملايين ويصيب شخص واحد.
- إذن لماذا نخاف من الديموقراطية؟
- لأننا لا نصلح
- ومين اللي قال أننا لا نصلح
- هما
- إذا اعترفوا بذلك فهذا يعني أنهم فشلوا في إصلاحنا وبالتالي فإنهم لا يصلحون.
- يقولون أننا لا نصلح للإصلاح
- إذن عليهم أن يبحثوا عن إصلاح يصلح لنا
- وما هو دورنا إذن؟
- أن نفكر في كل شئ..ولكن المشكلة أننا مشغولون باللحظة
- وكيف يستطيع الانسان أن يفكر
- عندما يقرأ
- لقد قرأت كثيرا حتى طار عقلك
- أشعر أني أفكر أفضل من أي وقت مضى
- هل رأيت مجنونا يعترف بأنه مجنون؟
- قلت لك ربما نكون نحن المجانين.
- إذن ما هو الفرق بينك وبين المجنون؟
- يوجد فرق واحد فقط...أنه مجنون بينما أنا لست كذلك
- يختلف الناس عادة في أمور كثيرة
- صدقني إنها موديلات مختلفة لنفس السيارة..لكل منهم كفتا ميزان إحداهما المزايا والأخرى العيوب
- وكيف ترى ميزانك؟
- أشعر أن المزايا كثيرة خفيفة والعيوب قليلة ثقيلة.
- هل تدعي التواضع؟
- إظهار التواضع هو أحد أنواع الغرور..لا يمكن أن يظهر الانسان تواضعه إلا إذا اقتنع أن عليه ذلك وهذا هو الغرور بعينه.
- لا أعتقد..وإلا كيف يكون التواضع الحقيقي؟
- لا أعرف كل شئ.

- هل لأنك جاهل؟
- بل لأني متواضع.
- وما هو الفرق بين الثقة بالنفس والغرور؟
- هو نفسه الفرق بين أن تعرف أنك مليونير فتحافظ على أموالك لكي تزيد..وبين أن ترميها في البحر فقط لأنك تعتقد أنها لن تنتهي.
- أشعر أنك كمن تكلم كثيرا ولم يقل شيئا.
- لا يمكن أن يوجد مثل هذا الشخص.
- هل فعلا تعتقد أنك عبقري؟
- إذا قلت نعم أصبح مغرورا والعبقرية تتعارض مع الغرور..ولو قلت لا فهذا يعني أني لا أري نفسي عبقريا وبالتالي ففي الحالتين أنا لست عبقريا.
- أم لأن حياتك مليئة بالفشل؟
- وما هو الفشل؟
- عندما تعجز عن تحقيق أهدافك.
- فشل إديسون في الدراسة ولكنه كان عبقريا.
- هذا لأنه إديسون.
- ولكنه أصبح إديسون بعد أن فشل وليس قبل ذلك.
- ولكن دعني أؤكد لك أنك مريض عقليا..لقد رأيتك ذات مرة تكلم نفسك في الشارع.
- دعني أسألك..هل ترى أنك عاقل؟
- بالطبع
- ولكني رأيتك ذات مرة تعاني من التهيؤات.
- متى؟
- عندما تهيأ لك أنك رأيتني أكلم نفسي في الشارع.
- مممم..ومتى سنعرف الحقيقة؟
- عندما يبعثنا الله.
- لقد اعتقدت أنك علماني.
- أنا أفكر وأتفكر كما أمرني ربي..لو استخدم الناس عقولهم لزاد تمسكهم بالدين وليس العكس.
- إذن لماذا ألحد بعض المفكرين؟
- قارن بين عدد من ألحد وعدد من ازداد يقينا.
- هل تدعي التدين؟
- لن تفهم إجابتي.
- أريد أن أسمع شيئا لا أفهمه.
- حسنا..إذا كان الله وهو الأعلى لا يكشف علاقته بعبده..فكيف يكشف العبد وهو الأدنى علاقته بربه فيدعي التدين.
- هذه ليست إجابة سؤالي.
- قلت لك أنك لن تفهم.
- أشعر أني مجنون لأني حاورت شخصا مثلك.

- وهذا ما قلته لك في بداية الحوار.
- هل ما زلت مصمما على نشر المقال؟
- ربما..هل تعتقد أنه من الممكن أن يقرأه أحد حتى النهاية؟
- مستحيل
- وما هو المستحيل؟
- أن أستمر في حوار كهذا.
- لا أعتقد بدليل أنك تستمع للإجابة..المستحيل هو أي شئ أخبرنا الله باستحالته.
- حسنا هل تعتقد أن أحدا سيعجبه مقال كهذا؟
- أتمنى
- لماذا؟
- لأن هذا يشعرني بالسعادة.
- يكره الناس الكاتب عندما يشعرون أنه يتعالى عليهم فكريا.
- لماذا؟
- لأن أحدا لا يفضل أن يشعر أن هناك من هو أفضل منه
- لا أعتقد..وإلا فقد كل النجوم معجبيهم
- هل النجومية هي أن يكون لك معجبين؟
- اذا استطعت أن تكون نقطة مضيئة في سماء مظلمة تصبح نجما
- هل تقصد أن الشهرة ليست من متطلبات النجومية؟
- هي نتيجة وليست سببا
- أقصد..هل يوجد نجوم ليسوا مشهورين؟
- يحدث هذا إذا فقد الناس بصرهم..أو إذا امتنعوا عن التطلع إلى السماء الحقيقية.
- ومتى يحدث هذا؟
- الآن
- لماذا؟
- لأننا نبحث عن التغيير من أجل التغيير..فأصبحنا نصنع نجوما وهمية في سماء غير موجودة
- ولكن الأغلبية تشعر بالسعادة
- ألم تقل أننا لا نصلح؟
- ولكن نحن بناة الأهرامات.
- نحن لم نبن شيئا..لقد جئنا لنتفرج دون أن نفهم
- إذن نحن أحفاد بناة الأهرامات
- لا توجد مشكلة في أن يكون الأب شيخا والابن تاجر مخدرات.
- بالمناسبة..لماذا يتعاطى بعض الناس المخدرات؟
- لأنهم يكرهون أنفسهم
- كيف؟
- إذا فشل الانسان فإنه يعتبر نفسه هي سبب فشله وبالتالي يكرهها ويحاول معاقبتها.
- لماذا لا تدخن؟

- لأني لم أجد سببا واحدا يجعلني أدخن.
- وهل لابد أن يوجد سبب لكل شئ نفعله؟
- بالنسبة لي نعم.
- ولكنك أحببتها دون أن يكون هناك سبب؟
- لهذا السبب لم أفعل شيئا.
- وما الذي منعك؟
- أفكر في النهاية عند البداية ووقتها لم يكن لدي خطة.
- سيبها على الله
- لقد فعلت
- أنت تضيع الفرص
- بل أبحث عن فرص أفضل
- هل تعتقد أن التاريخ يعيد نفسه؟
- المقصود هو تاريخ الأمم أما تاريخ الأفراد فهو مصدر الندم.
- ربما يكون مصدرا للسعادة
- ربما ولكن يمكنك أن تشعر بالسعادة دون أن يكون لك دور في هذا..أما الندم فهو مسئوليتك وحدك.
- أنا الآن أشعر بالندم
- لماذا؟
- لأني مستمر في هذا الحوار.
- ومتى ستشعر بالسعادة؟
- عندما أنصرف من هنا..ولكن لماذا تنشر كلاما بهذا الشكل؟
- صدقني مش عارف.

مشاهد من المترو 2

لا أعرف كيف يمكنني أن أعبر عن امتناني وشكري للمترو.. الأسباب لا تقف عند المزايا التقليدية المتمثلة في سرعته وانتظامه والكلام ده.. ولكنها تتجاوز ذلك لكي يصبح المترو أكثر ما يستفزني لتأمل تطور الشخصية المصرية في العصر الحديث.

كان المشهد هذه المرة مرتبطا بمحاولة إدارة المترو حل الأزمة المتمثلة في التصادم بين الركاب الصاعدين والنازلين بعد فتح باب المترو.. المشكلة رغم أنها معقدة للغاية إلا أن الإدارة نجحت في اكتشاف حل عبقري.. فمن حسن الحظ أن عربة المترو في القاهرة تتميز بأنها مزودة بأربعة أبواب ، وبالتالي تقرر تخصيص بابين للنزول وبابين للصعود.

وبقى التحدي هو كيفية إقناع المواطن بأن يصعد من هذا الباب وينزل من ذلك الباب.. المهمة بدت في البداية مستحيلة.. فمنذ ما يقرب من خمس سنوات والمواطن يسمع عن خرافة أبواب الصعود والنزول في المترو.. وفشلت كل الجهود في إقناعه بأنها حقيقة.

هذه المرة بدت الإدارة أكثر تصميما..درست شخصية المواطن فأدركت أنه بيتخنق من الأوامر..بيتعصب منها.. وهو كذلك يرفض من يوجهه.. هو يرى نفسه "مش خرنج" إطلاقا ويؤمن تماما بأنه "كينج كونج".. وبالتالي لابد من إقناعه بنفس الطريقة التي كانت تستخدمها الأم في إقناع طفلها بالأكل، عندما كانت تصفه بالجمل وتأمره بال "هَم" (ولسبب ما كان ذلك يُشعره بالسعادة).

هذه النظرية كانت واضحة في لغة الحوار التي بدأت ب"عزيزي الراكب"، ثم التأكيد على أن الهدف من هذا المشروع هو حرصنا على راحتك وسلامتك يا غالي.. وهي معلومة يسهل استنتاجها. ثم تذكرت الإدارة أن المواطن المصري لديه كم ضخم من المشاغل.. الرجال مشغولون بالمرتب وكيفية الحصول على أكبر قدر ممكن من المال.. والنساء مشغولات بكيفية تدمير هذا المرتب في أقصر فترة ممكنة.. الشباب مشغولون بعلاقات اجتماعية معقدة للغاية مع الجنس الآخر.. والشابات مشغولات بموعد نزول كليب عمرو وأن الكبير كبير يا تامر.. ومن المفيد هنا أن نؤكد أن لكل قاعدة استثناءات.

الخلاصة أن المواطن المصري لديه الكثير ليشغل باله بعيدا عن المشروع القومي لتقسيم أبواب المترو.. وهنا قررت الإدارة أن تتبع المثل الذي يؤكد بشكل ما أن الزن على الودان جامد جدا.

ولم يقتصر الأمر على الودان ولكنه امتد ليشمل العيون.. اللافتات معلقة داخل وخارج العربة بشكل هستيري.. والرسائل الصوتية داخل وخارج العربة أصابت الراكب بالصمم.. كلها تتوسل إليه أن يتحرك مسافة أربع خطوات لينتقل من أمام هذا الباب إلى الباب الذي يليه.. ولم يعد متبقيا سوى استخدام طريقة نشر الرسائل الإلكترونية التي تهددك بأنه إذا لم ترسلها إلى مائة شخص في خلال دقيقة سيأتي ديناصور أزرق ليعطيك بلحة على جبهتك.

ولكن المفاجأة المؤسفة.. أن المواطن لم يتحرك شبرا واحدا.

دعونا نحاول أن نتوصل إلى الأسباب.. ربما يكون أحدها أن لحظة التصادم بين الركاب لم تعد شيئا غريبا إلى الدرجة التي تدعو إلى تجنبها.. فالمواطن يعيش حياة تصادمية في أغلب الأحيان.. هو يتصادم مع كل ما ومن حوله فقط لكي يتمسك بدينه وأخلاقياته.. والغريب أنه أيضا يتصادم معهم إذا أراد أن يتركها. يشاهد برامج التليفزيون فيجد الآراء تتصادم تماما كما يتصادم الركاب على باب العربة.

أو ربما لم تعد هناك وسيلة وحيدة يتيمة للتأثير على مجموعة كبيرة من المواطنين.. لم يعد من الممكن صناعة رأي عام موحد يصل إلى درجة تغيير الواقع على الأرض.. المشكلة ليست في المضمون ولكنها في كيفية الوصول والإقناع.. فكل هذه النداءات والملصقات والحوارات فشلت في إقناع الراكب بأن يتحرك أربع خطوات حتى يحصل على راحته.

الغريب أنه للأسف أصبح من السهل جدا أن تملأ عقول الناس بشئ واحد.. الفراغ.. ففي خلال أيام أصبحنا نكره الجزائر.. وفي خلال ساعات أصبحنا مهتمين بمن قتل سوزان تميم التي لا يعرفها أحد. المضحك أن أكثر ما يشغلنا هو للأسف أقل ما يهمنا.. والمبكي أن أقل ما يشغلنا هو بالفعل أكثر ما يهمنا. ليس هناك أي صعوبة في أن تصنع رأيا عاما يدور في حلقات مفرغة، ويعجز عن صنع تغيير ملموس في حياة أي فرد منا.

الاحتمال الأخير هو أن فرض القواعد دون تحديد عقوبة لمن يخالفها أصبح يعني أنك لم تفرض شيئا أصلا.. بمعنى أنك لا يجب أن تتوقع أن يستجيب المواطن لأي أمر إذا تأكد أنه غير مجبر على تنفيذه.. وبالتالي فلا يجب أن ننتظر أن تنجح الحملات التي تدعو إلى تنظيم الأسرة لأنها ببساطة لا تحتوي على عقوبات. بينما نجحت حملة الضرائب لأنها نجحت في تهديد عبد القوي وتخويفه من قنطرة الدفاتر، كذلك لم يقتنع المواطن بأهمية حزام الأمان عندما كان يحميه من الحوادث، واقتنع بأهميته فقط عندما تأكد أنه يحميه من سحب الرخص.

لا أريد أن أنشر التشاؤم والاكتئاب بين الناس.. ولكني أعتقد أن مشكلة أبواب المترو أكبر من تحلها السيدة صاحبة الصوت الرقيق التي تخاطب عزيزها الراكب.. لأنه ببساطة لا يسمعها.

دنيا خربانة

كمان عشر سنين..أو يمكن خمسة..ينقطع ارسال القناة الاخبارية الشهيرة لإذاعة هذا الخبر العاجل الخطير المدهش العجيب الغريب..يظهر المذيع وهو في حالة مزرية كأنهم جابوه من السرير على النشرة علطول لأن الخبر ما يستناش..وبعد كل ده يكون الخبر ببساطة هو مرور ساعتين متصلتين في بغداد بدون أي تفجيرات !!..وفي نهاية النشرة يعتذر المذيع بشدة عشان للأسف حصل 99568 تفجير أثناء النشرة اللي كانت مدتها دقيقة ونص.

للأسف كل التوقعات للمستقبل بتاع هذا الكوكب لا تبشر بخير..وأي خبر في أي مجلة يكون أوله "كشفت دراسة حديثة أنه في خلال خمسين سنة سـ" لازم باقي العنوان يكون في كلام لا يدعو للتفاؤل..بعد خمسين سنة عدد سكان الأرض هيتضاعف وفي نفس الوقت موارد المياه هتقل للنصف..ومش بس مش هنلاقي مياه نزرع عشان ناكل..ده ممكن مانلاقيش مياه عشان نشرب ولا حتى نعمل نسكافيه..البترول هيخلص والعرب هيبقوا فقراء ومش هنلاقي شغل في الخليج.

الاحتباس الحراري هيخلي الجليد ينصهر و المدن الساحلية تغرق..ومش هنعرف نصيف ساعتها في شرم أو اسكندرية..حتى الفيوم هتغرق مش عارف ليه..ثقب الأوزون هيوسع لدرجة أنه هيبقى ممكن يفوت جمل وساعتها حتى اللي هيكون فلت من حروب المياه اللي بين الدول وفيضان البحر وحتى لو كان محوش شوية مياه معدنية من دلوقتي..الأشعة تحت الحمراء وفوق البنفسجية وجنب الخضراء..هتجيبه هتجيبه..ده حتى نتايج منتخبات الناشئين بتوعنا اليومين دول ماشية مع الجو العام للمستقبل.

ايه يا عم الكلام ده هو احنا ناقصين!!..أنا عايز أقول باختصار ان الانسان اللي عايش بقالو كتير- على رأي اللمبي- وعمال يخترع في حاجات ويحور في نظريات..بيعيش حياة أتعس من الانسان البدائي اللي كان عايش في العصر الحجري(!)..ولو بصينا على كل الاختراعات الجامدة اللي عندنا هنلاقي انها فعلا سهلت حياتنا جدا..لكن في نفس الوقت احنا عرفنا ده بعد ما شفناها..مش قبل كده.

زي مثلا التليفزيون..ممكن يخليك تشوف فيلم كوميدي يخليك تضحك وتقهقه كمان..ولكن الراجل البدائي كان ممكن يضحك أكتر لو وهو ماشي شاف واحد اتزحلق في قشرة موزة ووقع على رقبته..وبالمرة مات..يلا مش مهم..ولكن الحقيقة الموجوده هي أضرار الاختراع ده على الصحة وحاجات كتير.

زي برضو العربية..الاختراع العبقري اللي بيخليك تروح أي حتة..بس برضو الانسان البدائي ما كانش حاسس بأي مشكلة..كان بيصحى بدري ينزل يصطاد غزالة..ويديها لمراتو تطبخها وينام هو مبسوط من غير عربيات ولا حاجة..واذا كان المشي متعب ممكن في المستقبل يخترعوا حاجة بتمشي لوحدها ويقولو ساعتها عشان ترحمنا من عذاااااب السواقة..يعني التعب والراحة دي عملية نسبية.

الأمثلة كتير جدا..والفكرة كلها ان معظم الحاجات اللي الانسان اخترعها....مالهاش لازمة..والدليل المستقبل اللي خلا كل الناس تقفل الصفحة بمجرد ما قرت المقدمة للأسف(!).

ممكن يكون غريب ان اللي يكتب الكلام ده واحد في قسم هندسة الاتصالات والاكترونيات..بالعكس ده هو ده السبب الرئيسي..ان كل نظرية أبدعها واحد من العلماء وضيع فيها عمره..بيتفحت بسببها حوالي مليون طالب على مستوى العالم..والنتيجة اننا (أو بمعنى أدق أنا) اكتشفنا اننا ماشيين في الطريق الغلط وانها بقت على رأي الشاعر.. دنيا خربانة.

طب والحل يا عم الحاج؟..مفيش غير حل واحد..كلنا نرمي الأجهزة اللي عندنا والعربيات والموبايلات وكل حاجة..وخلو بس الكومبيوتر عشان ألاقي حد يقرا الكلام اللي أنا بكتبه..ونرجع نعيش في العصر الحجري الجميل..وناكل غزلان..ونتزحلق في الموز..مفيش أحسن من كده..وساعتها هنرجع نصيف في شرم واسكندرية..والفيوم مش هتغرق (مش عارف ليه برضو)..نشرب مياه ونعمل نسكافيه (آه صحيح..ازاي هنصنع نسكافيه من غير أجهزة!!).

*جميع الحقوق محفوظة والبلد مليانة محاكم..تعاطفك لوحده مش كفاية..عقم ولو بكلمة

عشرون سببا لعدم قراءة المقال

عزيزي القارئ.. صدقني لا توجد ضرورة لقراءة هذا المقال.. لأنك ستكون في حاجة إلى خمس دقائق لقراءته وهي مدة من الممكن أن تقوم فيها بأشياء أهم كثيرا من قراءة مقال يدعوك كاتبه إلى عدم قراءته.. على سبيل المثال من الممكن أن :

1 - تمارس بعض تمارين اللياقة البدنية.
2 - تتصل بصديق قديم فقط لكي تجرب إحساسك وأنت تسمع صوته لأول مرة منذ سنوات وهو يقول "ألو".
3 - تتصفح أي موقع رياضي وتبلغ عن تعليق غير لائق.. وما أكثرهم.
4 - تكتب نفس التعليق غير اللائق على جروب تامر حسني.
5 - تحفظ آيتين من القرآن الكريم.
6 - تنضم إلى جروب "تحداني خنزير يهودي أن أجمع مليار مسلم في نصف ساعة" لكي تدعو صاحبه أن يكبر دماغه.
7 - تقوم بتحميل أحد الكتب وتبدأ في قراءته.. ولكن لا تدع الجوع يقنعك أن تقرأ كتابا لمجرد أن يكون اسمه "شئ من الخوخ".
8 - تشاهد موجزا للأخبار وتحاول أن تتخيل حجم تأثيرك في صناعة هذه الأحداث.
9 - تنظر إلى ساعتك في صمت وتتأمل مرور الثواني من عمرك.
10 تغمض عينيك وتتخيل مصر في أحسن وأروع صورة.
11 تغمض عينيك وتتخيل دورك في مصر وهي في أحسن وأروع صورة.
12 تفتح عينيك وتفكر في المطلوب منك لكي تتمكن من تنفيذ الدور الذي حلمت به لتجعل مصر في أحسن وأروع صورة.
13 تقوم بعملية البسترة الغنائية وهي أن تشاهد جزءا من أغنية الضمير العربي وبمجرد انتهائه تستمع إلى هوبا وهو يغني عن تجربته مع حجرين عالشيشة.
14 تحاول أن تمارس اليوجا أو أن تبدو ساكنا كتمثال من الشمع لمدة خمس دقائق.. وتختبر قدرتك على السيطرة على أطرافك.
15 تتذكر أجمل لحظات حياتك وتكتبها في مكان ما لتعود إليها كلما أصبحت الحياة أشد قسوة.
16 تقوم بغلي بعض اللبن على النار وتراقبه بتركيز شديد لتكتشف في النهاية أنك كالعادة سرحت في شئ آخر... تجربة ممتعة بشرط أن تجد من ينظف البوتاجاز بعدها.
17 تجلس أمام المرآة وتنظر إلى عينيك مباشرة لمدة سبع دقائق... لن أخبرك عن التأثير حتى تجربه بنفسك.
18 تتصل بأسامة منير وتخبره عن رأيك في برنامجه بصراحة.
19 تقرأ مقالا آخر.
20 تترك تعليقا على هذا المقال يجعل الكاتب يشعر بالسعادة.

دوايـــر

(للحصول على أفضل النتائج من المقال.. استمع إلى الموسيقى التصويرية)

شعر بذلك الصوت المستفز يقترب منه في إصرار.. تأكد من غلق عينيه ظنا منه أنه بذلك يختبئ من مصدر الصوت.. ولكن الناموسة اقتحمت أنفه في عنف جعله يهب من سريره مطلقا ألفاظا يعاقب عليها القانون.

نظر إلى ساعة الحائط ثم تنهد في ضيق.. كان يذكر أنه خلد إلى النوم فجرا والآن هي الرابعة عصرا.. وهذا يعني أنه فشل كالعادة في تحطيم رقمه القياسي الأخير في عدد ساعات النوم المتواصل. أمسك تليفونه المحمول لثوان ثم ألقاه في غضب.. لم ترد على رسالته الأخيرة حتى الآن.. ربما نفد رصيدها.. أو أنها مازالت غاضبة.

كان يكره كثرة المشاكل التافهة التي تحدث بينهما.. وتذكر وقتها أنها قاطعته لمدة شهر كامل لمجرد أنها لا تصدق أن الكهرباء انقطعت بينما هو يكلمها على الشات. وخناقة أخرى كان سببها أنه لم يرد على شئ ما يخصها على الفيس بوك. هو الآن في حاجة إلى شئ يعيد له شعوره النرجسي بالتفوق.

ها هو يختار الكونغو ليواجه الأرجنتين في مباراة هو واثق من الفوز بها.. لم يخسر أبدا أية مباراة في البلاي ستيشن منذ ثلاث سنوات مهما كانت قوة الخصم. دائما يخبر أصدقاءه أنه يعتبر نفسه الملك المتوج على عرش اللعبة بلا منازع. أنهى المباراة بسهولة ثم بدأ يتصفح الإنترنت ليتابع آخر التطورات.

تبا.. ذلك الأحمق لا يزال يهاجمه على المنتدى أمام الجميع.. شاب جاهل لم يعجبه ألبوم تامر الأخير وتجرأ على انتقاد نجم الجيل بشكل مهين.. جلس يفكر في رد يوقف ذلك الشخص عند حده وبالطبع لابد من تدعيم الرد بحقائق وأرقام عن مبيعات الألبوم وردود الفعل العالمية. استغرق التحضير ساعات لم يهمه عددها فهو نادرا ما يهتم بالوقت منذ أن تشاجر مع أهله وتركهم ليعيش وحيدا.

بدأ يشعر بالجوع.. رفع سماعة التليفون.. إنه يحفظ الرقم ولكنه لا يتذكر اسم المطعم.. لا يهم.. دق جرس الباب فاستنتج أنه عامل الديلفري.. بالنسبة له جرس الباب لم يعد يحمل تلك المفاجأة التقليدية التي يمثلها لدى الجميع.

بعد أن انتهى من الأكل - الذي أصبح بالنسبة له عملا روتينيا يقوم به حتى يتمكن من البقاء حيا - بدأ يفكر في كيفية قضاء الليلة.. فكر في أصدقائه فوجدهم سافروا إلى شرم الشيخ بينما هو فضل البقاء معها. للأسف لا يستطيع أن يجد بديلا عنها.. اتصل بها وبعد ساعة ونصف من الحديث.. بعضها كانت اعتذارات لها عن

أشياء لا يفهمها.. وأحيانا كان يثور عليها.. ولكنه يعود فورا فيعتذر لها عن عصبيته الزائدة التي لم يجد لها حلا حتى مع أقرب الناس إليه. دعاها إلى السينما فوافقت بعد عناء.

جلس أمام الكومبيوتر ليقضي ما تبقى من الوقت ثم نظر إلى ساعته فجأة فوجدها اقتربت من التاسعة ولم يعد متبقيا على الموعد إلا نصف ساعة... لقد فعلتها ألعاب الفيس بوك مرة أخرى كما أضاعت منه امتحان نهاية العام وتسببت في رسوبه. إرتدى ملابسه في دقائق ثم قفز في سيارته وانطلق بأقصى سرعة سمحت له بها شوارع القاهرة المكتظة. الوقت يمضي في سرعة تفوق بكثير سرعة سيارته ولا يمكن أن يتأخر عنها بعد أن رتب بنفسه كل شئ.

بدأت تتصل به في إلحاح لتسأله عن سر تأخره.. واستنتج من هذه المكالمات أن الفيلم قد بدأ بالفعل بينما هو مازال يبحث عن مترين فارغين بجوار أي رصيف ليلقي فيهما سيارته. كان في كل مرة يغلق الخط في وجهها دون أن يرد حتى لا يسمع ما يزيد من توتره. الرسائل تتوالى وكلها تستحثه على الإسراع.

مضت نصف ساعة أو ما يزيد ومازال يبحث عن مكان يوقف فيه سيارته.. حتى ذلك الجراج الضخم متعدد الطوابق لم يجد فيه مكانا واحدا. رسائلها تنهمر على تليفونه وهو مازال يبحث ويبحث عن مساحة من الفراغ.. وأخيرا وجدها.

لم يكن موقعا مثاليا بل كان متأكدا أن شرطي المرور ربما يسحب منه سيارته أو ربما يزين له زجاج السيارة بمخالفة كبيرة.. ولكنه لا يهتم بتلك الأشياء فالسيارة مرخصة باسم والده وهو الذي يدفع في مثل هذه المواقف.

أخذ يركض بكل سرعته ليلحق بجزء ولو يسير من الفيلم.. بدت له المسافة بعيدة للغاية حتى وجد نفسه أمام شباك التذاكر يلهث وهو يطلب من الموظف تذكرتين.. لا يهم المكان..المهم أن يدخل القاعة في أسرع وقت ممكن.. بدأ الموظف يقطع التذاكر بينما هو يقلب وجوه الواقفين بحثا عنها فوجدها تسير مبتعدة وعلى وجهها ملامح الغضب الطفولي وتشير في عصبية إلى إحدى سيارات التاكسي.

على الفور أخرج تليفونه ليتصل بها.. ولكن ذكرته الرسالة المسجلة بأن رصيده قد انتهى وأقنعته أيضا بأن رحلته ربما تكون قد انتهت.. رسالة جديدة كالمعتاد.. ولكنها لم تكن منها هذه المرة بل كانت من والده يدعوه فيها إلى العودة إلى المنزل لأن والدته مريضة بشدة وتطلب رؤيته على الفور.. حالتها تتدهور يوما بعد يوم منذ أن رحل عنهما، وكبرياؤه يمنعه من العودة إلى المنزل بعد أن طرده والده.

نظر طويلا إلى الرسالة وهو لا يدري ماذا يفعل.. تمثلت أمامه في لحظة صورة والدته وهي ترقد على فراش المرض.. وتذكر مواقف لا يدري ما الذي دفعها إلى رأسه في لحظة كهذه. تذكر ذلك اليوم الذي جاء فيه من المدرسة بأقصى سرعته ليخبرها أنه حصل على الدرجة النهائية.. وكانت سعادتها يومها هي مصدر سعادته.. وتذكر حين كانت توقظه يوميا قبل الفجر بدقائق ليشرب بعض الماء قبل الإمساك في رمضان، وتحثه على النهوض ليصلي الفجر.. استرجع أيام الطفولة حين كانت أمه تنتظر معه أتوبيس المدرسة.. وتذكر أنه كان يبكي بشدة عندما كان يراها تبتعد حتى تختفي من أمام عينيه. كان يشعر وقتها بأنها هي مصدر الأمان وبغيابها قد أصبح في مهب الريح.

مرت مواقف كثيرة أمام عينيه دون أن يحركهما من على حروف الرسالة. وفجأة وجد نفسه يركض بكل ما أوتي من قوة في اتجاه سيارته.. ثم تسمر فجأة في مكانه.. فقد وجد مكان السيارة خاليا.. شعر وقتها بما يشبه العجز.. وحينها سمع تلك النغمة المميزة تصدر من تليفونه معلنة عن رسالة جديدة... منعه الخوف من قراءة الرسالة هذه المرة.. ولكنه شعر بدمعة تنحدر من عينه في صمت.

فن ذوق أخلاق

زمان كنت فاكر إن المترو هو المكان الوحيد اللي ممكن نلاقي فيه رموز الحياة المصرية...ولكن تمر الأيام والأسابيع والسنون والأقلام لأكتشف أن المكان الأقدر على تلخيص حياتنا بصورة سيريالية هو الشارع المصري نفسه.

اذا كنا نعاني في حياتنا من كثرة المنافقين وإن دلوقتي معظم الناس ليهم وشين أو أكتر، فإن الشارع المصري أيضا بوشين...لو انت ماشي على رجليك هتشوف وش...ولو كنت سايق هتشوف وش تاني تماما، فبعد أن خضت تجربة السواقة في شوارع العاصمة اكتشفت الكثير والكثير والكثير أوي مما لم أكن أشعر به إطلاقا وأنا ماشي من غير عربية.

الحياة أحيانا تكون صعبة جدا لدرجة أن البعض يتمنى الموت...ولكن الانتحار أمر مرفوض ومحرم تماما كما أن لحظة الانتحار تكون صعبة جدا...ولكن عبور الشارع هو في الوقت نفسه عبور لكل هذه العقبات التي تقف في طريق المنتحر...وأكيد كل من استمتع بالسواقة في القاهرة صادف الكثير من المنتحرين، والمنتحر هو ذلك الشخص الذي يعبر شارع مثل جامعة الدول بهدوء أعصاب انجليزي ولا يمثل ذلك بالنسبة له أي نوع من التحدي، كما أنه أكثر الناس إيمانا بأن الخط المستقيم هو أقصر طريق بين نقطتين، وبالتالي يعبر الشارع بطريق قطرية بحيث إنه يديلك ضهره وهو بيعدي وفي الوقت نفسه يفترض أن الكلاكس هو لغة متداولة بين السيارات فقط وبالتالي فهو – كإنسان – غير مطالب بالاستجابة لها.

وعلى العكس تماما...زي ما في ناس بتكره الحياة، يوجد ملايين المصريين من أصحاب الطموحات الجامحة...هناك الملايين ممن وهبوا حياتهم لتحقيق أحلامهم...وهبوا حياتهم بالكامل بما في ذلك الفترات اللي بيسوقوا فيها عربياتهم...ويمكن بسهولة رؤية ذلك في شوارعنا، إذا كنت سعيد الحظ وكان اللي في العربية اللي قدامك واحد طموح...ستلاحظ إنه بيبقى ماشي كويس أوي لحد ما تيجي الاشارة...وأثناء الإشارة يستغرق في أحلامه حتى يستيقظ على صوت الكلاكس بتاعك وبعدها يتحرك بعجلة تناقصية (سرعته بتقل مع الوقت) ووقتها لن تفلح كل كلاكسات الدنيا في اقناعه أن يستهلك المزيد من البنزين لأنه ببساطة هيكون مش سامعك وهو بيتخيل نفسه رئيسا للوزراء وأنه في طريقه الآن لافتتاح كوبري 31 فبراير.

وإذا كان برنامج الخصخصة ساهم في زيادة الفجوة بين الطبقات في مصر وبالتالي ظهور الحقد الطبقي، فإن سواق الميكروباص هو أكبر دليل على ذلك...يسير الميكروباص بشكل همجي في الشارع لدرجة إني بقيت بحس إن الميكروباص نفسه هو كائن عدواني مخيف حتى لو كان واقف...وأن آثار الصدمات التي لا يخلو منها ميكروباص أو ميني باص..هي محاكاة للإصابات التي تزين وجه أي بلطجي، نصيحة أخيرا لا تحاول أنك تكسر على أي سواق ميكروباص لأنه هيعتبر ده جريمة مخلة بالشرف ارتكبت في حقه وهيكون رد فعله غير محدود خصوصا إن الجريمة دي ارتكبت في حقه على الملأ.

دائما ما تتهم الحكومة بأنها تصدر قرارات مفاجئة...وهذا الاتهام مش سببه الضرايب أو الجمارك أو الأسعار...دي كلها أعراض للاتهام لأن المواطن بيدفع الضرايب مرة في السنة ونادرا لما بيدفع جمارك وكده كده الأسعار بتغلى، ولكن السبب الحقيقي المحفور في العقل الباطن للمواطن هو مفاجآت الحكومة في الشارع...ولو عايز تتأكد بنفسك اقف جنب أي يافطة مكتوب عليها "اتجاه اجباري يمين" وتأمل وجوه قائدي السيارات وتعبيراتهم بمجرد رؤية اللافتة الرقيقة واقترح أن يتم تعديل اليافطة إلى "اتجاه إجباري يمين..والله يسامحك مقدما"
ولكن هناك أيضا إيجابيات قامت بها الحكومة في الشارع لتحقيق أهداف نبيلة، على سبيل المثال البلاعات بنوعيها اللي طالع لفوق واللي نازل لتحت...وتساهم البلاعات في زيادة معدلات تركيز السائق لإنه لو سرح ثواني هيلاقي نفسه بياكل بلاعة – تعبير غريب – أيضا المطبات الخفية التي تفاجئنا دائما لها أهداف راقية جدا...فبعد تالت مطب تجد نفسك بتشاور للعربية اللي وراك عشان تطلع قدامك وتستنتج من اهتزازتها أماكن المطبات، وهو ما ينشر روح الود والتعاون بين السائقين.

"عزيزي قائد المركبة..." هذا هو اللقب الرسمي لك في نظر المرور ومن المنطقي أن تسأل نفسك هل أنا سايق عربية ولا مركبة؟..أو هل أنا سواق ولا بحار؟...ستكتشف الإجابة إذا سقطت الأمطار على القاهرة لمدة تلات ساعات متواصلة فقط لا غير...فكل هذه البلاعات هدفها هو تسلية قائد المركبة مش أي حاجة تانية...وزي ما بيقولو المطر خير...حد يكره الخير؟؟!!

يحاول المرور بشتى الطرق السيطرة على سرعة السيارات..ولو جربت تمشي على المحور هتحس بتوتر غريب... "تمهل..أسرتك في انتظارك"..."أمامك رادار على بعد كيلو"..."السرعة مراقبة بالرادار"...وأعتقد أنه إذا فشل الرادار في مهمته سيتم استخدام الألغام.."أمامك حقل ألغام على بعد 100 متر مع تحيات الهيئة العامة لمرور الجيزة"..."قول ورايا..أشهد ان لا إله إلا الله".
أما في وسط البلد فتمت الاستعانة بكاميرات فوق الإشارات..والكاميرا تصدر فلاشات مثيرة ليلا لتنبيه المواطنين إنها شغالة بحق وحقيقي..أما أثناء النهار فمن الممكن الاستعانة بقناص ماسك سنايبر يجلس فوق الاشارة لتحذير السائقين.

إن معاناة القيادة داخل القاهرة فاقت الحدود، ولذلك كان الحزب الوطني ذكيا في اختيار عنوان حملته "القيادة والعبور للمستقبل" لضمان أصوات الملايين وأحب أقول إن القيادة....فن وذوق وأخلاق.

**عزيزي قارئ المدونة...عقم فاسرتك في انتظارك...وجميع الحقوق محفوظة ومراقبة بالرادار...تعاطفك لوحده مش كفاية..عقم ولو بكلمة .*

لو بطلنا نحلق

أختي تقول لي أن مقالي الأخير كان رائعا.. سألتها مندهشا إشمعنى؟؟ أجابت بأنها لم تقرؤه أصلا ولكنها قرأت التعليقات.

عزيزي القارئ.. اسمح لي أن أدعوك إلى قراءة مقال يتجاوز كل حدود الصراحة..ولكني أعدك أني سأحاول بقدر ما استطيع أن أبدو متحضرا. ربما استخدم أسلوب الحوار ولكن هذا لا يعني أنك المعني بالكلام.. هي فقط طريقة لجذب الانتباه.

والآن دعني أسألك..هل تعرف أننا نعيش في مأزق حقيقي؟..سأخبرك لماذا.. البنات تحب تامر حسني.. نوع من الموجات الكهرومغناطيسية يصدرها من جسده – من صدره بالتحديد - فتسقط بسببها البنات مغشيا عليها. لا ألومه على إصدار الموجات لأنه من المحتمل أنها تصدر منه بلا وعي. تماما كما كان محمد صبحي يصدر من عينيه ذلك "الشعاع" الذي جعل النساء تنهار أمام نظراته ولكن لأن صبحي فنان محترم فقد اختار لمسرحيته وقتها اسم "تخاريف".

بعيدا عن ذلك فإن من الإنصاف أن نعترف أن تامر حسني يمتلك بالفعل ما عجز الكثيرون عن الحصول عليه وهو قوة الإبهار.. هو في نظر الكثيرين مثال النجم المبهر الأسطورة الرومانسي القوي الذي يمثل للأسف الشديد مثلا أعلى لكل شاب.. وفتى أحلام أسطوري لكل فتاة.

ولكن بدلا من أن يستغل تامر هذا الابهار في محاولة لتطوير الجيل الذي هو نجمه.. فإنه استمتع بفكرة أنه معبود الجماهير.. وبدأ يتحدث عن طفولة مشردة وعن حيرته بين لعب الكرة والغناء.. فأمه كانت ترى أنه سيصبح مطربا عظيما.. بينما هو كان يرفض ذلك ويؤكد لها أن موهبته الكروية أكبر من مواهبه الموسيقية.

وبدلا من لفت نظر الشباب إلى تحديات الواقع الصعب الذي نعيشه.. كان يتحدث عن شعاع من النور كان يطارده منذ طفولته في المدرسة.. كان الشعاع يخترق النافذة ليسقط على وجه تامر دونا عن باقي زملائه.. حتى عندما كان تامر يغير مكانه.. كان الشعاع يتعقبه (!).

ثم يتحدث عن قصته مع والده الذي تركه منذ طفولته ولم يعرف أن ذلك الفنان المشهور هو ابنه لأنه نسي شكله. وعن معاناته الإقتصادية هو وأسرته بسبب ذلك الأب. هي كلها طرق تساهم في إضفاء مزيد من الإبهار.. فهذا الشاب عاش حياة مريرة ورغم كل ذلك صعد إلى القمة في زمن قياسي. كما أنه يعاني من المؤامرات التي يدبرها له الحاقدون ليل نهار.. فهم يحطمون سيارته ليسرقوا منها ألبومه ويسربونه قبل نزوله الأسواق لتدمير مبيعاته.. والمنافسون يهددون من يتعاون معه من الملحنين والشعراء فيضطر تامر وقتها إلى أن يكتب لنفسه ويلحن لنفسه وربما يسمع لنفسه أيضا. إبهار.. إبهار.. ولا شئ بعد الإبهار.

وكنتيجة منطقية لكل هذه المحاولات كان منطقيا جدا أن نجد شابا يسجد شكرا لله على خشبة المسرح بعد أن عطف عليه تامر ومنحه شرف معانقته.. كانت دموع الفرحة التي سقطت من عيني الشاب وقتها هي بالفعل أصدق رثاء لجيل كامل. نعم كان يبكي في أحضان تامر أمام جمهور يصفق بحرارة بينما كان من

المفترض أن يبكي كل من يشاهد شيئا كهذا يحدث أمام عينيه. لقد سجد ذلك الشاب لله عندما عانق تامر تماما كما سجد والده على رمال سيناء في أكتوبر.. ولكن الفارق بين السجدتين رهيب.

أما عندما سئل تامر عمن سينتخب في انتخابات الرئاسة.. فإنه رفض الإجابة مبررا ذلك بأن كل الناس ستتبعه وهو لا يريد أن يتحمل مسئولية 80 مليون مصري. وبعيدا عن أن الجملة تحمل شيئا من الاستخفاف بعقلية شعب مصر فيجب أن نشكر تامر على عدم حرق نتيجة الانتخابات مبكرا وعلى منح كل المرشحين فرصا متساوية.

كنت أتمنى أن يحصل شخص آخر على شئ من ذلك الإبهار الذي نجح تامر في تحقيقه.. ولكن لم يقترب شخص آخر من هذه المكانة التي تجعل من صاحبها قدوة لجيل كامل سوى شخص واحد هو محمد أبوتريكة. أبوتريكة يمتلك الكثير مما لا يملكه تامر فهو يمتلك شعبية جارفة مصدرها قدرته على إدخال الفرحة في قلوب الناس، فالمطرب مهما بلغ من الموهبة فإنه يعجز عن جعلك تقفز من مقعدك فرحا كما يفعل لاعب الكرة.

كذلك فإن أبوتريكة نجح في إبهار الكل بما يملك من تواضع وانتماء وأخلاق والتزام. ولكن حظه العثر جعل هذه الشعبية تعجز عن الوصول إلى النصف الناعم من الجيل.. فهو لا يستطيع دغدغة مشاعر الفتيات كما يفعل تامر، كما أن البنات لا يحبون الكرة بالفطرة وبالتالي فموهبة أبوتريكة لا تجذبهم من الأساس.

ألم أقل لك أننا نعاني من مشكلة!.. فعندما تنحصر قدوة جيل كامل بين مطرب ولاعب كرة (مع احترامي له) فإن ذلك يعني أن خللا ما يعاني منه هذا الجيل. فلو كتبت على موقع جوجل العالمي "قدوة الشعب الأمريكي" (بالإنجليزية طبعا) ستجد شخصيات من كل المجالات اعتبرها المجتمع بشكل أو بآخر قدوة له. القدوة في المجتمعات المتحضرة يمتلك مجموعة صفات يستحيل أن تتوفر في شخص وبالتالي لابد من التنوع لتحقيق قدوة متكاملة تستطيع أن تمنح الناس قدرا من الإلهام.

مثلا ستجد في أمريكا من يعتبر بيل كلينتون الرئيس السابق رجلا فريدا في رحلة حياته.. وفي نفس الوقت هناك من يتحدث عن تايجر وودز نجم الجولف العالمي.. وآخرون يعتقدون أن ستيفن سبيلبرج المخرج العبقري شخصية ينبغي أن نتعلم منها الكثير وهكذا. ولم يقتصر الأمر على مطرب أو لاعب كرة كما هو الحال عندنا.

المدهش أن مقالا نشر هناك كان يتحدث عن مشكلة يعاني منها الأمريكيون من أصل آسيوي.. حيث يعتقدون أنهم فشلوا في تقديم قدوة للشعب الأمريكي مثلما فعل الأمريكان الأفارقة ابتداء من مارتن لوثر كينج وانتهاء بباراك أوباما. بينما لو بحثت في مصر عن تنوع كهذا فلن تجد من المصريين السمر منذ عشرات السنين قدوة سوى شيكابالا.

****

أعتقد أنك بدأت تشعر بالملل.. حسنا دعك من كل هذا الكلام النظري الذي لا يهمني شخصيا في شئ.. وأعتقد أيضا أنك لم تستمتع به إطلاقا. واسمح لي أن أحاول أن أجعل من هذا المقال الكئيب مقالا ساخرا ربما يجعلك تشعر بالسعادة ولو للحظات.. سأسأل نفسي أولا.. علام (أو على ماذا) يضحك المصريون؟ في ظروف اقتصادية واجتماعية مضطربة كهذه ما الذي يستطيع أن يهزم الجزء الجاد المدرك في عقولنا ويجعلنا نقهقه؟

إذا حاولنا أن نجيب على سؤال كهذا فمن المنطقي أن نشاهد كل الأفلام الكوميدية التي حققت نجاحا ساحقا لكي نفهم السر. وبتحليل سريع ستجد أن هناك ثلاث طرق لإضحاك المصريين استعملها صناع السينما بذكاء شديد.

الطريقة الأولى استعملها اللمبي صاحب الإيرادات الخيالية ويجوز تسميتها الطريقة اللمباوية.. وتعتمد المدرسة اللمباوية في الكوميديا على الغباء. ليس الغباء العادي ولكنه مزيج من الصفات عندما شاهدناها ضحكنا بشدة. هذا المزيج يعتمد على شخص يتكلم عادة بصورة توحي بوجود تأخر عقلي شديد.. ويحاول أن يجعل مظهره مستفزا لدرجة تجعلك تتمنى أن تمسك شفرة لتزيل هذه الشوارب من على جانبي فم اللمبي.. وتجعلك تتمنى لو خرج لك بوحة من الشاشة لتلكمه لكمة عنيفة في فكه السفلي البارز مثل اكصدام سيارة شيفروليه الدبابة لتعيده إلى وضعه الطبيعي.

فنحن نضحك على اللمبي لأنه غبي وهذا شئ يجعلنا نشعر بالسعادة لأننا وجدنا من هو أغبى منا. وبما أننا كلنا نضحك.. فهذا يعني أننا أغلبية ذكية وهذا يزيد من شعورنا بالاطمئنان على مستقبل بلدنا.

الطريقة الثانية يستخدمها أحيانا أحمد مكي وتمكن من خلالها من تحقيق نجاحات مدوية في زمن قياسي.. هي طريقة تتضح بشدة في جملة من نوع "خد فطيرك" وما شابهها.. هذا النوع من الدعابات جعلني أتذكر فورا مدرسة الأورمان الثانوية بنين التي كنت أعيش فيها يوميا وسط سيل جارف من البذاءات. تذكرت الآن بعضا منها وهو يفوق كل ما قاله مكي بمراحل من حيث العبقرية اللغوية والإبداع ولكن يمنعني المقام من ذكرها.. وبقليل من التفكير اكتشفت أن التلميحات البذيئة.. بذيئة..وبالتالي فهي ليست مضحكة لأن البذاءة لا علاقة لها بالضحك. فأنا عندما أسب شخصا.. لا أنتظر منه حينها أن ينفجر ضاحكا. فلماذا عندما أسبه بطريقه ربما لا يفهمها (أو لا تفهمها الرقابة) نضحك بشدة !!

ونجاح هذه الطريقة منطقي جدا خصوصا أن هناك ميلا دفينا في أعماقنا نحو البذاءة.. فعندما تسب صديقك بلفظ خارج فهذا يعتبر دليلا على قوة العلاقة بينكما.. وأنكما تجاوزتما مرحلة الرسميات منذ زمن.. أما عندما تسبه بأمه فهذا يعني أنكما بالفعل أكثر من الأشقاء حبا وترابطا.

الطريقة الثالثة والأخيرة هي التي تميز فيها أحمد حلمي وهي تعتمد على فتاة جميلة رقيقة يتعرف عليها حلمي بطريقة غير مقصودة.. ثم تتطور علاقتهما مع الوقت من خلال مواقف تكون بالفعل مضحكة..لتنتهي نهاية سعيدة.

نشاهد نحن كل هذه الأفلام والمسرحيات ونضحك كثيرا.. وبينما نحن نضحك ونضحك.. نجد عناوين الأخبار تقطع الضحكات بدون استئذان.. ونجد مذيعا متجهما يعرض صورا لمذابح تحدث في فلسطين أو العراق.. بالإضافة إلى مجموعة أخبار أفضلها سيئ للغاية.

فنجد أنفسنا نقشعر ونشمئز ونتأفف من منظر الجثث والدمار.. وندعو على اليهود وأتباعهم.. ثم نعود لمتابعة الفيلم أو المسرحية لكي ننسى قبل أن نتذكر.

****

إذن فهذه هي الشخصيات البارزة حاليا التي تتعلم منها الأجيال.. وهذا هو انتاجنا الإعلامي المسئول عن صناعة فكر المصريين.. ولذلك كان منطقيا أن نقرأ تصريحا للاعب المنتخب زيدان يؤكد فيه أنه ليس لديه مانع للعب بجوار أي لاعب إسرائيلي أو جزائري.. فعطف الجزائري على الإسرائيلي في جملة واحدة هو أكبر دليل على حجم تأثير الإعلام على عقول أصبحت تساوي بين الشقيق والعدو.

إن الإعلام الذي أقنعنا أن كرامة مصر تعرضت للإهانة على يد مشجعي كرة قدم.. هو نفس الإعلام الذي جعل عشرات الشباب يقضون الساعات على الانترنت يتبادلون قصائد الهجاء مع الجزائريين على الانترنت.. هو نفسه الإعلام الذي جعلك بمجرد أن تكتب كلمة "عرب" على اليوتيوب تجد فيديوهات يندى لها الجبين. هو أيضا نفس الإعلام الذي جعل الشباب يخرج في مظاهرات للتضامن مع شاب يتهرب من خدمته العسكرية.

الصحف القومية تقنعك أنك تعيش في المدينة الفاضلة.. والصحف المعارضة تلح عليك ليل نهار أن المشكلة تكمن في هؤلاء الجالسين على الكراسي. برامج الفضائيات تدعوك لمتابعة قضايا ومشاكل وفضائح لا تهمك من قريب ولا من بعيد.

نحن في كل الأحوال نجلس على مقعد المتلقي الذي يشاهد مشاكله بعينه ولا يجد نفسه مطالبا بشئ لحلها.. نحن في انتظار حكومة جديدة.. أو شخص جديد.. أو فكر جديد.. المهم أننا لا نتحمل أي مسئولية فيما يحدث.. والأكثر من ذلك أننا نختلف فيما بيننا على السبب الحقيقي لمشاكلنا.. ولكننا نتفق بشكل كامل على أننا لا دور لنا في حلها.

فالإعلام يخشى توجيه اللوم للمواطن تماما كما يتجنب لاعب الكرة انتقاد الجمهور خوفا من أن ينقلب عليه.. والنتيجة أننا أصبحنا مشاهدين بالمعنى الحرفي للكلمة.. نتفرج ونبني آراء وأفكارا على ما نشاهد بعد أن نسينا أن علينا أن نقوم بدور ما قبل أن نكوّن تلك الآراء.

أما إذا كنا نريد فعلا أن نصنع واقعا جديدا.. فإن علينا أن ندرك أننا وحدنا نملك فرصة صناعة حياتنا.. لابد أن ندرك أن بداخل كل منا شئ يستطيع أن يقدمه.. ورغم أني أجد نفسي في أبعد مكان يسمح لصاحبه بتوجيه نصيحة لأحد.. فسأخبرك بشئ أؤمن به تماما.

دعك من كل ما تقرأ أو تسمع أو تشاهد واصنع بنفسك دورك.. امنح نفسك فرصة أن تفخر بنفسك.. لا تشغل نفسك إن كان العيب في الحكومة أو في المعارضة. فالمنطق يؤكد أن مصنعا بدون عمال يعملون بضمير سيخسر بغض النظر عمن يديره. فمن غير المنطقي أن نكوّن آراء وقناعات دون أن نقوم بدورنا أولا.

ألم أقل لكم أن أختي تقول لي أن مقالي الأخير كان في قمة الروعة..هي لم تقرؤه أصلا.. ولكنها قرأت التعليقات.

ألش ليلة وليلة

(أشعر أن المقال السابق لم يكن موفقا إلى حد ما.. فعندما تقرر أن تكتب عن القدوة والإعلام والإيجابية في مقال واحد.. لابد أن يخرج بهذا الشكل.. سيبك إنت.. إليك مقال أجوف فارغ من أي مضمون.. يمكنك اعتباره استراحة أو فاصل إعلاني أو أي شئ.. المهم ألا تعتبره مقالا لأنه بالفعل ليس كذلك).

هو أكيد حاجة غريبة، في ناس شايفة إنه حاجة كويسة وناس شايفة العكس تماما، ولكن الشئ الوحيد الذي اتفق عليه الجميع هو أن الألش أصبح ظاهرة انتشرت بشكل مفاجئ وسريع ولاقت رواجا مذهلا وسط قطاع كبير من الشباب.

ليه الناس بتقلش؟...من المعروف أن الضغط يولد الانفجار في الفيزياء ويولد الأخطاء في كرة القدم...ومن الممكن أن نعتبر الألش انفجارا وخطأ في نفس الوقت..فهو نتيجة لضغوط الحياة السريعة بمتاعبها وصعوبتها وتحدياتها، ونتيجة أيضا للشعور بالملل من كل ما هو تقليدي في حياتنا...لقد شاهدنا عشرات الأفلام الكوميدية وضحكنا كثيرا جدا لدرجة أننا أصبحنا نبحث عن الضحك في الأشياء الغير مضحكة بالمرة بحثا عن التجديد وهو ما يرفضه البعض.

إزاي الناس بتقلش؟...تبدأ رحلتك الذهنية للبحث عن القلشة بتحليل حرفي دقيق لكل كلمة تسمعها...ومحاولة تقسيم الكلمة إلى مقاطع ربما يكون أحد هذه المقاطع مرتبطا بكلمة أخرى..على سبيل المثال لو حد قالك "انت مالك"...بعد تحليل سريع للكلمة وإعادة تقسيمها تجد أن الألشة المنطقية هي أن ترد قائلا "وإن لم يتمالك؟".

النوع الثاني من القلشات يعتمد على التشابه وليس التطابق، من خلال التشابه بين الكلمة الأصلية والألشة، على سبيل المثال لو حد قالك "كل الكلام ده هرتلة"...ألشة سريعة جدا ممكن تكون "يا هرتلة الأيام هتعود".

النوع الثالث وهو أرقى أنواع الألش يعتمد على الانتقال من اللغة العربية إلى لغات أخرى اعتمادا على التشابه بين الكلمات...على سبيل المثال كلمة "فيصل" بسكون الياء بمجرد أن تسمعها ترد قائلا "فيصل ولا سيمي فيصل"، أو عندما يسألك أحدهم "إنت جيت؟"..ترد في دهشة "لأ أنا انسان مش بوابة"، ويمكن الدمج بين الأنواع على سبيل المثال مرة واحد صاحبي قاللي "عايز أتعلم لغة ال "C sharp" وهي أحد لغات البرمجة، فكان الرد "السيشارب ده بيتلبس على الدماغ مش بيتكلم"، ولكن عموما ينصح بعدم استخدام هذه الألشات إلا عندما يكون المتلقي على مستوى يؤهله للتعامل معها وإلا فقد يتعرض إلى صدمة عصبية أو تتعرض حياته -وربما حياتك- للخطر.

وتشترك جميع هذه الأنواع في أنها تتطلب الكثير من سرعة البديهة فتحضير الألشة وتنفيذها لابد أن يتم في فترة لا تتجاوز الثواني الثلاث وإلا فقدت بريقها...كما تتطلب قدرا كبيرا من القدرة على الإبداع حتى تتمكن من رؤية الجوانب الغير مرئية في الكلمة وتوظيفها بشكل غير تقليدي.

متى تكون الألشة مضحكة؟...يعتمد هذا على المتلقي بالدرجة الأولى، يعني مش أي حد ممكن تقلش أدامه، والانسان بطبيعته مش بيحب الألش إلا بعد أن يمر في حياته بمرحلة يتعرض فيها لاستفزاز فكري عنيف، فتتولد بداخله رغبة في الخروج عن المألوف في كل شئ لاثبات قدرته على تكوين تركيبات لغوية لم يسبقه إليها أحد، كما تعتمد على توقيت الألشة...فالألشة وسط حوار جاد ممل تتسبب في كسر حالة الجدية والخروج إلى عالم يبدو سهلا مريحا مبتكرا بالإضافة إلى أنه يشجع الجميع على التحدث بحرية...ففي جو ملئ بالألش لا يمكن أن توصف دعابتك بالسخيفة، بل بالعكس كلما زادت السخافة تلقيت المزيد من التقدير.

عايز تعرف انت بتحب الألش ولا لأ؟...مجرد وصولك إلى هذا السطر بعد اجتيازك العديد من الألشات يعتبر دليلا على وجود استعداد مبدئي لتلقي الألش...مش عارف دي حاجة كويسة ولا لأ، بس هو بلا شك الألش في هذا العصر أصبح فنا قائما بذاته...وله جمهوره العريض أيضا.

بقلم- كيبورد

عمر محدش كامل

زوجة رجل مهم

تنويه: أفكار هذا المقال من خيال الكاتب ولا تمت للواقع بصلة، ولكنه اختار هذا الموضوع لأنه عايز يكتب عنه (تنويه آخر: الجملة الأخيرة لا تحمل أي مفاجآت ولكنها ضرورية لجعل المقدمة طويلة وهو نفس دور هذه الجملة).

في يوم من الأيام وعلى رصيف شارع من الشوارع..جلست أتناول وجبتي المفضلة من ذلك المطعم "الجاد" الشهير..زجاجة مياه غازية (أو بيبسي عشان ماتبقاش دعاية) بالإضافة إلى الوجبة الأصلية وهي واحد فول وواحد طعمية..نعم إنه ذلك الثنائي المدهش المتكامل الذي يعتبر امتدادا لثنائيات الحياة المصرية..الأهلي والزمالك..الملك والكتابة..الحكومة والمعارضة..السواق والتباع..أو حتى المقشة والجاروف..وفي ظل حالة السلام النفسي الناتجة من الشعور بالتواضع الشديد ، نظرت بتأمل إلى الساندوتشين...ثم فجأة جت في دماغي فكرة عبقرية مدهشة.. وهي إني أتجوز...ورغم أن مشهد ذلك الرجل الذي يسير مع زوجته وأولاده جعلني أشعر أن هناك من سبقني وفكر في نفس الفكرة إلا أن الموضوع جعلني أشعر بسعادة غامرة حتى أنني شعرت أن الفول أصبح ألذ منذ أن جاءتني الفكرة العبقرية.

وبدأت أتخيل سعيدة الحظ...وشعرت للحظة وكأني فولا يتخيل طعميته..وهنا توقفت عن الأكل لأنه من المعروف أن هناك تعارضا بين الفول والخيال..الفول واقعي بشكل عنيف وأنا أريد أن أتخيل ما الذي أريده حتى أبحث عنه..قلت لنفسي لابد أن تكون متدينة.. لا يوجد ما هو أفضل من زوجة متدينة..بينما تحلم المرأة بزوج متدين وغني وكريم..ولابد أن يكون غنيا وكريما في نفس الوقت لأن غياب أي من الصفتين يلغي أهمية الأخرى فورا..أتمنى ألا تكون طموحة لأنى أعتقد أن طموح الزوجة غالبا يتعدى قدرات الزوج وكمان أنا عندي من الطموح ما يكفيني وزيادة..ولكن لابد أن تكون ذكية لأن الانسان الذكي يتصرف بذكاء ومن الذكاء أن يجعل الانسان حياته سعيدة.

حاولت أن أتخيل شخصيتها..لابد طبعا من توافق الشخصيات..بمعنى أنها لو كانت رومانسية جدا فإنها ستجد صعوبة في التعامل مع شخص مصادر إلهامه هي الفول وركوب الميكروباصات والجلوس على الرصيف..ولو كانت سطحية جدا فكيف ستعيش حياتها مع شخص يعد نفسه ليكون رئيسا للجمهورية.. وإذا كانت منطقية جدا فكيف ستعيش مع شخص يعد نفسه لرئاسة الجمهورية من خلال الجلوس على الرصيف وأكل الفول وركوب الميكروباصات...أما إذا كانت تحب القراءة فكيف ستقبل أصلا الزواج منى بعد أن تقرأ مثل هذا الكلام.

أكيد لن تكون انسانة مثالية ولابد أن أقبل ذلك بصفتي انسان غير مثالي أيضا..وإذا كان المثل اللي مش فاهمه يؤكد أن "مبروم على مبروم ما يروللش"..فإن المفاجأة هي أن غير مثالي على غير مثالي يرول كويس جدا...بمعنى أنه لو كانت هي مثالية فإنها ستشعر بمرور الوقت أنها تستحق من هو أفضل...وهذه هي الحالة الوحيدة التي تعتبر فيها بعض العيوب مزايا.

إذن لابد أن أرضى ببعض العيوب.. حسنا...لازم أحدد أولوياتي وها أنا أعود إلى الواقع وبالتالي لابد من لقمة من ساندوتش الفول لكي استرجع أبعاد الزمان والمكان.

الأولوية للمواصفات الشخصية فهي تعتبر الحد الأدنى من المتطلبات اللازمة لنجاح أي زواج..هي مثل الرامات للوندوز فيستا أو كارت الشاشة للفيفا 2009..لأن شخصية الانسان تعتبر من الثوابت..ولكن تأتي في الأولوية التالية ظروف الحياة زي مثلا تكون بتشتغل ولا لأ...لا يمكن أن أرفض عمل المرأة الذي كافح من أجله قاسم أمين وهدى شعراوي وزكي جمعة (؟)، ولكن التفكير في هذا الموضوع يسبب لى نوعا من الحساسية وضيق التنفس وعسر الهضم في وقت واحد.

وبينما أنا غارق في التفكير في حسابات الشقة والمهر والشبكة.. وأحاول أن أحسب عدد عمليات السطو المسلح اللازمة لتوفير هذا المبلغ.. إذا بها تمر أمامي.. لا أعرف كيف حدث هذا ولكني الآن اكتشفت شيئا مهما جدا.. أن اللغة العربية ما زالت تحتاج إلى بعض الاضافات لتتمكن من التعبير بدقة عن مثل هذه اللحظات.

كنت قد انتهيت من الفول والطعمية أيضا وبالتالي لم أجد ما أعود به إلى الواقع.. ورغم أنني أبعد ما يكون عن الجرأة.. فقد اندفعت تاركا الرصيف وقلت لها بدون تردد شيئا لا أتذكره وجرى بيننا حوار لا أتذكر شيئا منه.. نعم من الممكن أن أكون بستعبط الآن ولكن لا داعي لكي تعرف عزيزي القارئ كل التفاصيل.. وربما يكون تصرفي هذا أكبر دليل على عدم أهمية المقال لدرجة أن كاتبه نفسه لم يفكر في كلمة واحدة منه عندما اندفع بهذا الشكل.

مرت أيام وأسابيع كانت الأجمل على الاطلاق.. أو ربما كانت فترة أطول أو أقصر ففي مثل هذه اللحظات يتضاءل احساسك بالزمن.. وكان الموقف يتطور تطورا طبيعيا كذلك الذي حدث للحاجة الساقعة حتى وجدنا فيروز أمامنا.. وهو ما حدث معي بالضبط فقد وجدت فيروز أمامي أيضا في لحظة غيرت ما قبلها من لحظات..ولكن فيروز هذه المرة كان يمسكها رجل له صوت خشن يسألني في ملل... "خلصت الإزازة يا كابتن؟ عايز أقفل الكشك"...أعطيته الزجاجة وذهبت فورا إلى هناك بأقصى سرعة ممكنة.. لكي اشتري ساندويتش فول.

*جميع الحقوق محفوظة ولكن الشقة من حق الزوجة رغم إن الزوج هو اللي اشتراها.. تعاطفك لوحده مش كفاية.. عقم ولو بكلمة.

حدوتة مصرية

زمان..أو مش زمان أوي..في الحقيقة مش زمان خالص..كان في راجل كل شوية يجيب فلوس ويحطها في جيبه..وبعدها بثانية واحدة يفاجأ بإن جيبه فاضي تقريبا...فاكتشف ان جيبه مقطوع..كل الناس نصحوه إنه لازم يصلح الجيب وكان رده "آه طبعا هصلحه"، ولكن للأسف اكتشف إن تصليح الجيب عملية متعبة جدا ومحتاجة وقت وجهد..ولما فكر اكتشف أن الحل الأسهل إنه يحاول يجيب أكبر كمية من الفلوس ويحطها في جيبه المقطوع عشان يعوض اللي بيقع.

ولكنه وجد نفسه أمام مشكلة تانية...منين يجيب فلوس بكمية كبيرة وبسرعة عالية...لقد وجد أنه مهما ملأ جيبه بالمال فإنه لا يجده بعدها بدقائق قليلة...ولكنه رغم ذلك لم يقتنع أن عليه اصلاحه..أو هو مقتنع بذلك ولكنه لا يستطيع أن يتحول من مرحلة الاقتناع إلى التنفيذ.

ولأنه مجبر إنه يلاقي فلوس عشان يعيش بدأ يستلف من كل اللي يعرفه واللي مايعرفوش..والغريب إن الفلوس اللي كان بيستلفها برضو كان بيحطها في نفس الجيب المقطوع (!!)..ولما جه معاد تسديد الدين..كان بيسدد الدين بدين تاني.. حتى بلغت ديونه عنان السماء.

ولما وجد أنه لن يستطيع الحياة بهذه الطريقة..بدأ في بيع ما يملك..بدأ يبيع أرضه التي كان من المفترض أن يرثها أبناؤه..وهنا بدأ أولاده يسألوه "انت بتودي الفلوس دي فين؟"..فكان الرد " مصاريفكم كتيرة".

شعر أولاده بالخطر فبدأوا يشتغلوا ويجيبوا فلوس مش قليلة...وكان أبوهم يأخذ منهم الفلوس ليضعها في الجيب إياه..ومع زيادة الدخل نتيجة عمل أبنائه ومع ما كسبه من بيع أرضه وقف ليعلن بكل فخر أنه نجح في تحقيق معدل نمو فاق السبعة في المائة...وصفق له الجميع رغم أنهم يعرفون أن ديونه تتزايد يوما بعد يوم...سأله أحد أبنائه "الفلوس دي بتروح فين؟؟"...رد قائلا "مصاريفكم كتيرة".

كبر الأب في السن وبدأت أعراض الشيخوخة تؤثر على قواه العقلية...فبالرغم من ديونه المهولة..وبالرغم من أنه لم يعد يملك الكثير ليبيعه..إلا أنه كان يتبرع بأمواله لعلاج من هم أغنى منه..رغم أن أحد أبنائه لا يجد علاجا...وبدأ يجبر أبناءه على العمل دون أن يعطيهم مليما بل بالعكس كان يأخذ كل ما يكسبوه ليضعه بسرعة في جيبه المقطوع..ولما سأله أحد أبنائه "الفلوس بتروح فين؟؟؟"..رد قائلا "مصاريفكم كتيرة..أوي".

بدأ أولاده يراقبوه وذات يوم شاهده أحد أبنائه يمشي والمال يسقط من جيبه...ففرح الولد بشدة...أخيرا عرف سر الحياة الفقيرة التي يعيشونها رغم أنهم أغنياء...ذهب الأولاد إلى الأب وقالوا له "يا راجل حرام عليك...كل ده جيبك مقطوع وانت مش عارف؟؟"...سأله الأب "طب والحل دلوقتي؟"...رد الابن في دهشة "لازم تصلح الجيب"...فأجابه الأب "لو عايزين تصلحوه اتفضلوا..أنا بقالي خمسين سنة مكسل"

نظر الأبناء إلى بعضهم البعض وكل منهم ينتظر أن يتطوع الآخر لإصلاح الجيب...وطال انتظارهم حتى قال أحدهم " مين اللي قال إن الجيب مقطوع"...فرد الآخر "عندك حق..إحنا اللي مصاريفنا كتيرة".

مقال سعيد جدا

(للحصول على أفضل النتائج من المقال.. استمع إلى الموسيقى التصويرية)

مستلقيا على أرض مصر حيث لا يفصل جسدي عن الأرض فاصل.. مواجها السماء ونجومها بحيث لا أري أمامي إلا لوحة سوداء بها بعض النجوم اللامعة التي طالما افتقدتها. تجربة يومية كانت تملأ عقلى بعشرات الأفكار.. أحلم بيوم أستطيع فيه كتابة شئ منها، ولكن للأسف يتأخر ذلك اليوم كثيرا.. تضيع الأفكار فأتذكر شعوري عند انقطاع الكهرباء بعد أن هزمت الوحش وقبل أن أعمل save game.

سأحاول أن أتذكر شيئا منها.. أذكر أنني شعرت يوما بسعادة لا مثيل لها رغم أن حياتي كان فيها بفضل الله الكثير من اللحظات الجيدة.. كانت سعادة تفوق كثيرا سعادتي يوم نتيجة الثانوية العامة التي حصلت فيها بفضل الله على أكبر نسبة مئوية مكونة من رقمين.. وكانت تفوق أيضا سعادتي بتخرجي من الكلية التي كانت كفرحة مسجون يوم خروجه من المعتقل..ينظر أمامه ولا ينظر خلفه.. أذكر أنها كانت سعادة حقيقية ليست كالتي أشعر بها عندما يهزم الأهلي الزمالك.. أو كتلك التي أجدها عندما أهزم محمد حسن في البلاي ستيشن وأنا ألعب بالنرويج وهو يواجهني بالبرازيل.

كانت سعادة تفوق فرحتي بجائزة مالية حصلت عليها مؤخرا ولن أفصح عن قيمتها لأسباب تتعلق بأن مصلحتي أولا.. وتخطت أيضا سعادتي وأنا أقرأ جريدة الأهرام التي تعلن يوميا عن عشرين مليون فرصة عمل للشباب مفترضا حسن النية وأنهم بالفعل بيشغلوا الشباب مش بيشتغلوهم.. أذكر أن سعادتي في تلك اللحظة تجاوزت سعادتي يوم زواجي فقد كان يوما مليئا بالضوضاء وتبادل التهاني على تصرف لم أكن متأكدا بعد من عواقبه (عديها).

بعد أن مر من عمري واحد وعشرون عاما كنت دائما أتساءل.. ما الذي يمكن أن يجعلني أشعر بسعادة لم أشعر بها من قبل؟.. كنت أعتقد أن الحياة من الصعب أن تأتي بما هو أفضل.. ربما نواجه في حياتنا مشاعر متناقضة ولكنها جميعا تكون تكرارا لمشاعر مررنا بها من قبل.. نفرح كما فرحنا من قبل أو نحزن كما حزنا من قبل.. أيامنا هي درجات مختلفة من نفس الألوان.. ولم أكن أعتقد أنني من الممكن أن أشعر بسعادة تختلف عما رأيته من قبل.. ولكن المفاجأة أن أصدق شعور بالسعادة الحقيقية لم يكن ناتجا عن نجاح أو شهرة أو ثروة أو حتى سلطة.. بل كان مصدره قطرة عرق رأيتها تسقط من جبيني.. واحتسبتها في سبيل الله.

لحظة من فضلك

ميدان التحرير..وأنا في الطريق نظرت الى المجمع العظيم وتذكرت عادل إمام في الإرهاب والكباب..وبما أني كنت في مهمة مليئة بالتحديات الروتينية قلت سرا :ربنا يستر..وبدأت بالاحتياطات الأولية..أولا لازم تكون ساعتك مضبوطة حتى تتأكد من مواعيد العمل الرسمية..سألته قائلا: لحظة من فضلك..الساعة كام؟..نظر في ساعته وهم بقول شئ ما ثم صمت لبرهة وكأنه يفكر ثم قال: "يعني..تقدر تقول عشرة ونص"..ولما شعرت بعدم دقته سألت مواطنا آخر فأجاب بنفس الإجابة حرفيا برغم مرور حوالي خمس دقائق بين المحاولتين(!)..يمكن أكون سألت سؤالي في وقت غير مناسب..ولكننا نعاني بالفعل من عدم احترام الوقت..برغم مرور أكثرمن عشر سنوات مع التليفون المحمول و فواتيره لم نتعلم احترام الثانية ..

أما أهم ما يميز شوارع وسط البلد فهو وجود بعض المواطنين من أصحاب المحلات تشعر بمجرد النظر إليهم برغبة في سؤالهم..والأهم هي القدرة المدهشة على الإجابة بمنتهى الثقة بغض النظر عن مدى معرفة الإجابة.."لحظة من فضلك..مصلحة الأحوال الجنائية"..وتمنيت من الله ألا يجيبني قائلا: يمين في شمال..لأن هذه الإجابة تعني بعد ترجمتها الى العربية "اسأل حد تاني"..ولكن الحمد لله الإجابة كانت "أول يمين تاني شمال هتلاقي عساكر وضباط..هي هناك"..وللأمانة أعجبت بمدى دقته في وصف المكان حتى أنه حدد رتب الموجودين فيه..

وصلت إلى المصلحة وكانت ملاصقة لمبنى وزارة الداخلية..وشعرت بذلك الشعور العجيب الذي يتملكني بمجرد رؤية الضباط..مزيج من الرهبة والاحترام والاحساس بالأمان التام وأحيانا الضيق..مرت الإجراءات في سلاسة مذهلة وبمعاملة مثالية من الجميع..ولكن لأن الحياة المثالية مملة..ولأن رفاهية الشعوب تدفعها الى الانتحار..كان لابد من بعض المتاعب التي تجعل للحياة معنى..

سألته في براءة: فين مدام صفاء؟

أجابني في تباتة: ليه؟

قلت في بساطة: عايز أختم الفيش.(الفيش هو ورقة عليها بصمات)

ويبدو أني أغضبته لسبب ما فقد أخذ مني الفيش في عصبية ورزعه عالمكتب قائلا: نص ساعة وتعالى.

وبالطبع لم يكن هناك مجال لكلمة واحدة إضافية..أو للاستفسار عن سبب يجعل هذه الحركة اليدوية البسيطة اللازمة لختم الفيش في حاجة الى نصف ساعة لاتمامها..واكتشفت ان مشكلة احترام الوقت أكبر بكثير من أن كل مواطن بيضبط ساعته بمزاجه..

خرجت من المصلحة وبالطبع لم أجد أي مكان يصلح لقضاء نصف ساعة فيه..وتذكرت أني أقف أمام وزارة الداخلية ومن البديهي أن احتياطات الأمن هي السبب..وقفت أمام المصلحة أستمتع بشمس يونيو الحارقة وأتأمل كم الضباط ومنظر طابور الجوازات وبعد مرور نصف ساعة بالضبط دخلت مرة أخرى وفي ذهني هذه الجملة" أنا مش قولتلك كمان نص ساعة..ده لسه فاضل ساعة إلا ربع"..

دخلت وبحثت عن صديقي العصبي فلم أجده للأسف..وسألت عن مدام صفاء المتخصصة في ختم الفيش..فوجدتها شخصية لطيفة للغاية..وأخذت تحدثني عن ابنتها التي لها نفس سني وكمان معايا في نفس الكلية والدنيا الضيقة و...(كل هذه المعلومات عرفتها من بطاقتي)..وفي النهاية أعطتني الفيش مختوما بختم نسر فائق الجمال..ولأنها متخصصة أختام فقد ختمت بجملة "انما انت كنت فين..الفيش جاهز بقالو نص ساعة !!"

شئ من الخوخ

لا يوجد ما هو أكثر مللا من قراءة مقال يستعرض فيه الكاتب قدراته الخارقة التي لا تهم القارئ لا من قريب ولا من بعيد.. وإذا لم تكن تصدقني فعليك بقراءة هذا المقال.

لن أدعي فيه أنني أستطيع الوقوف في الهواء أو الجلوس على الماء.. كل ما أتمنى أن تصدقوه هو أنني أمتلك قدرة خاصة على التحكم في أحلامي.. لا أعني بذلك الطموحات أو الآمال.. ولكني أعني المعنى الحرفي للكلمة، أي أنني أستطيع أن أتدخل في المشاهد التي أراها أثناء النوم.

كثيرا ما أنقذتني هذه الخاصية الفريدة من اغتيالات عنيفة كادت تودي بحياتي.. كما تجاوزت بها الكثير من المواقف المحرجة للغاية مع شخصيات أحبها.. فبمجرد أن أشعر أن الحلم أصبح سخيفا أو أن التصاعد الدرامي للأحداث لا يسير على ما يرام.. أجد نفسي قادرا بسهولة على فتح عيني فتجد أمامها ابتسامة أبوتريكة المعلقة على الحائط المواجه للسرير.. فأشعر معها بالأمان.

اعتدت أيضاً أن استخدم هذه القدرة عندما أشعر بأن الحلم أصبح خيالياً بطريقة مستفزة.. لأن هذا يعني بطريقة غير مباشرة أنني لا أستخدم البطانية بشكل جيد، وأنني لابد أن أستيقظ حتى أنقذ نفسي من صديقتي الإنفلونزا. ودعوني أحكي لكم بعضا من هذه الأحلام.. بالطبع لا أتذكر كل التفاصيل ولكني سأستخدم قدرتي على التأليف عشان الحوار يمشي.

حلمي الأول (وهو بالمناسبة لم يكن أحد ملوك مصر) كان رائعا.. كنت أقوم فيه بدور رب الأسرة وأذكر أنها كانت أسرة جميلة بكل المقاييس، توفرت لها بالفعل كل مقومات السعادة.. لا أذكر أننا كنا نعيش في قصر مهيب أو نركب سيارة رهيبة.. ولهذا تأكدت أنني كنت بالفعل ذلك الشخص الموجود في الحلم، فأنا أحد هؤلاء المجانين الذين لا يرون أي علاقة بين المال والسعادة. ربما كان المال سببا في جعل الحياة أكثر سهولة، ولكن حياة أكثر سهولة لا تعني بالضرورة أنها أكثر سعادة. كأحد أبناء جيل البلاي ستيشن تعلمت أن اللعبة لا تمنحك أي سعادة بمجرد أن تتمكن من اجتياز كل مراحلها حتى النهاية.

كانت حياتي في الحلم مثالية بشكل مبالغ فيه.. لم تكن هناك أي مشاكل.. ولأني مقتنع بأنه من المستحيل أن يحصل شخص على كل شئ.. فقد شعرت بأن الحلم بدأ مرحلة التخريف.. وعلى الفور استخدمت قدرتي الفذة في الخروج من الحلم.. ووجدت نفسي أصيح قائلا لكل أبطال الحلم "في المشمش".

أما حلمي الثاني (وهو الذي حكم مصر بعد حلمي الأول) فقد كان كئيبا.. كنت أقوم فيه بدور يشبه دور نجم الجيل..كنت أحمل سبع تليفونات محمولة (طبعا كان هناك سبعة مساعدين للقيام بهذه المهمة).. كان نزولي الشارع بمثابة إعلان عن مظاهرة مفاجئة.. وبالتالي كان لابد من إخطار إدارة المرور بكل تحركاتي مسبقا. للأسف خجلي يمنعني من سرد تصرفات بعض المعجبات بالإضافة إلى أنني أخشى أن تقرأ زوجتي شيئا كهذا يوما ما.

أسوأ ما في الأمر أن الكثيرين كانوا يعتبروني قدوة لهم.. وهذا ما جعل الحلم كئيبا للغاية.. فقد كان ذلك يعني أن مشكلة كبيرة يواجهها شباب مصر دفعتهم إلى اتخاذ شخص مثلي كقدوة.. بالإضافة إلى أن مشكلة أكبر حتما ستواجههم نتيجة لذلك.. كنت مطالبا أن أبدو كانسان خال من الأخطاء وهو ما يتعارض مع طبيعة البشر.. لم أكن مقتنعا أبدا أن القدوة هو ذلك الشخص الذي نقلد ملابسه ونقتبس كلماته لننشرها على الفيس بوك. القدوة الحقيقية هو ذلك الشخص الذي يستطيع أن يؤثر في تصرفاتنا وأفكارنا وحياتنا.. دون حتى أن نشعر بذلك.

تأكدت أيضا هذه المرة أنني كنت بالفعل موجودا في الحلم لأنني لا أحمل أي طموحات تجاه الشهرة.. ولهذا السبب لم أظهر في من وسائل الإعلام (لهذا السبب فقط). وكان واضحا من كل تفاصيل الحلم أن البطانية بها مشكلة ما.. فتحت عيني فجأة وتمنيت أن يأتي يوم نجد فيه بيننا قدوة بمعنى الكلمة.. وشعرت أن ابتسامة أبو تريكة تعني كلمة واحدة.."في المشمش"

حلمي الثالث (مش بحب الألش) كان مختلفا.. كان حلما بكل ما تحمله الكلمة من معان. كنت أرتدي فيه جلبابا أبيضا جعلني أبدو مضحكا إلى حد ما.. أذكر أنني كنت فيه قائما للتو من أداء صلاة الجمعة.. وبينما أنا في طريق العودة شعرت فجأة برغبة جارفة في أن ألتفت للخلف لألقي نظرة على المسجد من الخارج.

رأيت قبة خضراء زاهية تتوج ذلك السقف المهيب.. لم أبذل جهدا كبيرا لأدرك أنني أقف بالفعل أمام المسجد الأقصى.. وكانت كل الوجوه التي رأيتها تحمل ابتسامة تشعر بها دون أن تراها.. شعرت أن نفس الابتسامة انتقلت إلى وجهي وأنا نائم.. ولأن الحلم كان مختلفا فلم أفكر مطلقا في أن أخرج منه.. ولكني استيقظت على صوت آذان الفجر.. وبمجرد أن فتحت عيني لم أكن قادرا على وصف حلمي بأنه "في المشمش".. ولكني تمنيت من كل قلبي أن يتحول ذلك المشمش الذي ملأ أحلامي.. إلى "شئ من الخوخ".

أوراق مبعثرة

(للحصول على أفضل النتائج من المقال.. استمع إلى الموسيقى التصويرية)

انطلقت دقات الساعة الرابعة فجرا لتخترق حاجز الصمت الذي كان مسيطرا على غرفته.. فتح عينيه في صعوبة بالغة حتى شعر أنها ربما تكون هذه هي لحظاته الأخيرة.. نظر يمينا بحثا عن الدواء فوجده بعيدا للغاية رغم أن المسافة لا تتجاوز المترين.. شعر بعدم جدوى هذه الرحلة اليومية إلى حبة الدواء وكوب الماء فأخرج من تحت وسادته ورقة وقلما.. وبدأ يكتب..

"ربما لم يعد متبقيا في العمر ما يكفي لكتابة بعض الكلمات.. ولكني سأحاول.. فهكذا تعلمت من الحياة.. أن الفشل يبدأ عندما تنتهي المحاولات.. وأن النجاح ينتهي عندما تبدأ الاحتفالات. تعلمت أن أسعد لحظاتي هي تلك التي شعرت فيها أني مصدر لسعادة الآخرين.. ربما لم أكن الأفضل على الإطلاق ولكني كنت دائما أشعر أنني أستحق أن أكون كذلك.. وهذه كانت أكبر أخطائي.

عشت كثيرا ولم أندم إطلاقا..مؤمنا بأنه دائما هناك فرصة أخرى.. والآن أدركت أن الفرص هي في الواقع كموجات البحر.. تمر من أمامك حتى تنتهي تحت قدميك.. ثم تأتي موجة أخرى تشبه تماما السابقة لها ولكنها إطلاقا ليست هي. تعلمت أن عقرب الثواني هو ذلك الاختراع الذي اخترعه الانسان ثم عجز عن السيطرة عليه.. والأسوأ أنه لم يدرك ذلك.

شاهدت أشياء كثيرة لم أفهمها.. لم أفهم لماذا يستنشقون الدخان في وجود الهواء؟.. لماذا يفرحون عندما تتجاوز الكرة خط المرمى بينما يحزنون عندما تتجاوز نفس الكرة نفس الخط ولكن على الجهة المقابلة؟.. لماذا لا يشعرون بالرضا بينما يرون أمام أعينهم من هم أكثر شقاء وتعاسة؟.. لماذا يقتلون من أجل المال الذي لا أذكر ولا أهتم بأن أعرف كم أملك منه الآن؟.. لماذا يبحثون عن الشهرة ثم يهربون من معجبيهم؟

عرفت وجوها كثيرة.. مئات..ربما آلاف.. وتعلمت أن الفرق كبير بين الرفيق والصديق.. هو كالفرق بين العلاج والدواء.. فكل العلاج دواء وليس كل الدواء علاجا.. وتعلمت أنه لكي يحبك الآخرون لابد أن تحبهم.. لا يوجد طريق آخر.. ولكي يذكروك بالخير بعد رحيلك عليك أن تترجم لهم هذا الحب.

تعلمت أن أتفاءل.. فأنا لا أملك تجاه المستقبل سوى أن أفرح به قبل أن يأتي.. وأدركت مبكرا أنه لا شئ يستحق أن نحزن من أجله في حياتنا إلا ما قد يسبب لنا الشقاء بعدها.. ورغم أني كنت مؤمنا بذلك إلا أني كنت أحزن كثيرا.. وربما تحمل الجملة السابقة تفسيرا لذلك.

كثيرا ما كنت أرغب في الضحك بشدة ولكني كنت أمنع نفسي.. وكثيرا جدا ما كنت أرغب في البكاء ولكني كنت أمنع نفسي.. ولم أكن أعرف لماذا لا أفعل ما أريده؟ لماذا نتحكم في أنفسنا بسهولة فقط عندما يرتبط الأمر بخداع الآخرين؟ بينما نعيش أغلب حياتنا عاجزين عن السيطرة على كلمة أو نظرة أو تصرف تافه.

أعتقد أنني قرأت في بداية حياتي شيئا كهذا الذي أكتبه الآن.. أشعر أنني أعيد كتابة نفس الكلمات.. ولكني – وربما يكون ذلك آخر ما تعلمته- اكتشفت أن الفارق كبير للغاية بين القراءة والكتابة".

خليني جنبك خليني

تسعمائة نسمة لكل كيلومتر مربع...هذا هو معدل الكثافة السكانية الذي نستمتع به جميعا في رحاب وادي النيل..أي أنه في كل متر مربع يعيش تسعة أعشار انسان مصري...يعني تقريبا راجل من غير دماغ في كل متر مع مراعاة أنه سايب دماغه في المتر المربع بتاع المواطن اللي جنبه..وإذا كنت تجد هذا الرقم مثيرا للدهشة..خد عندك الرقم ده..إن 98% من المصريين يعيشون على 4% من إجمالي مساحة مصر..وبحسبة بسيطة سنجد أنه لو وزعنا السكان بالتساوي على مساحة مصر هتكون الكثافة 63 نسمة لكل كيلومتر مربع..يعني بدل ما تسيب دماغك (اللي مالهاش مكان) في المتر بتاع اللي جنبك..هيكون من حقك تعمل عزومة محترمة في المساحة بتاعك من غير ما تزعل حد.

وبنظرة تأملية لخريطة مصر تجد أن شكل وادي النيل يشبه كثيرا شكل الأتوبيس وكنتيجة حتمية لهذا الوضع حققنا رقما قياسيا فريدا..حيث يبلغ نصيب الفرد من المسطحات الخضراء عالميا 12 متر مربع..بينما يبلغ عندنا..مش هقولك 10 متر..والله ولا حتى 5 متر..يبلغ نصيب الفرد من الخضرة ستة..أيوة ست سنتيمترات وهذه هي الأرقام الرسمية..ونحمد الله أن مصر هي هبة النيل وإلا احتاج المواطن إلى ميكروسكوب إلكتروني لكي يرى نصيبه من المسطحات الخضراء.

الإخوة والأخوات..لقد أصبح تعدادنا 78 مليون نسمة في عين العدو..ولا أعرف أي عدو هذا الذي يملك عينا تسع 78 مليونا من النسمات..وللأسف فقد فشلت كل محاولات الحكومات المتعاقبة لتخفيض معدل الزيادة السكانية أو حتى لإعادة توزيع السكان والأسباب كثيرة أهمها أننا بنحب الزحمة..حتى لو تظاهرنا بالعكس ولكننا في الواقع رفضنا وباصرار كل محاولات حرماننا من متعة الزحام.

الأمثلة التي تدل على حبنا للزحمة كثيرة جدا..منها هذه الأسرة الزحموية التي تصر على الاحتفال بشم النسيم في حديقة الحيوان بالجيزة..وهي نفس الفكرة العبقرية التي فكرت فيها نصف الأسر المصرية في وقت واحد بما يشبه التخاطر الفكري القومي..ورغم إيمان كل من يذهب إلى مثل هذه الحديقة في مثل هذا اليوم أنه سيرى من الزحام ما لا يخطر على قلب بشر..إلا أن ذلك يعتبر هو السبب الرئيسي لقيامه بالرحلة.

أيضا ستاد القاهرة يعتبر أحد أبرز مظاهر حب المصريين للزحمة..فتجد كل المشجعين يؤكدون إن الاستاد بيبقى مالوش طعم إلا لما يكون فيه نصف مليون مشجع عالأقل..وأقل من كده يبقى نشوف الماتش في البيت أحسن..ولذلك يتصارع الناس على الحصول على تذكرة في مباراة مهمة لسبب واحد..ليس لمشاهدة المباراة فهي أصلا مذاعة في التليفزيون.. ولكن لأنه من المؤكد أن من سيحضر المباراة سيستمتع بزحام فئة المائة ألف مواطن..ولهذا السبب تباع التذاكر في السوق السوداء بأسعار خيالية لأن مباراة من هذا النوع هي فرصة ربما لا تتكرر للاستمتاع بالزحام.

مش بس كده..كمان تلاقي الناس تتجنب النزول إلى الشارع بعد منتصف الليل لنفس السبب..إن الشارع هيكون فاضي وبالتالي نفقد الحافز للنزول..وتجد نفس التخاطر الشعوري القومي يجعل كل الشوارع تتملي فجأة وتخلو فجأة..ولذلك رفض المجتمع فكرة المدن الجديدة واتفق الجميع على أنها "ما فيهاش روح"..ولا أعتقد أن الموضوع له علاقة بحب المصريين للجن والأرواح ولكنه حبهم للزحمة.

أما شوارع وسط البلد فهي لوحة فنية رائعة تعكس تلاحم أبناء هذا الوطن..تشعر دائما وأنت تسير على رصيف شارع من شوارع وسط البلد أنك تسير في مظاهرة غير منظمة..الغريب أن الكثيرين يعتبرون وسط البلد مكانا للفسحة رغم أنها في حالة تظاهر دائم فتجد بعض الناس يقفون صف ثان (على الرصيف) أمام فاترينات المحلات ولكن سرعان ما يجرفهم التيار لينضموا بشكل لا إرادي إلى المظاهرة التي لا يعرف أحد أهدافها باستثناء الهدف القومي وهو الاستمتاع بالزحمة.

وعندما تأكدت الحكومة أنه من المستحيل إعادة توزيع السكان على أرض مصر..اضطرت إلى محاولة التحكم في عدد السكان عن طريق دعوة الناس أن يحكموا عقلهم عشان يعملوا كل حاجة كلهم..كل حاجة يعني يتعلموا وياكلوا ويشربوا ويشتغلوا كمان..وهنا برزت المشكلة الأزلية وهي عند المواطن في الحكومة لمجرد الغلاسة..أذكر وأنا طفل حملة كان شعارها إرضي ضميرك حافظ على نقطة المياه..وكانت تدعو الناس "بالذوق" إلى الحفاظ على المياه وهو هدف عظيم..ولكن ذلك لم يمنع عم محمد من أن يمسك الخرطوم يوميا لمدة ساعة ليرش الشارع بمياه نقية حتى يستمتع بالطراوة.

الحكومة حاولت بعد ذلك أن تتجنب الطراوة في حملاتها ومعها كل الحق فكان شعار حملة الضرائب مصلحتك أولا يعني خاف على نفسك يا حمادة..وكذلك حملة قانون المرور "التزامنا بيه مابقاش اختيار"..يعني غصب عنك (يا حمادة برضو)..ولذلك نجحت هذه الحملات بينما فشلت الوقفة المصرية..وانتهت بجلسة مصرية أو ربما بنومة مصرية لم يستيقظ منها حمادة..لتجد الحكومة نفسها مضطرة إلى الحل الأصعب وهو تحويل الزيادة السكانية إلى ثروة بشرية..أو تحويل 80 مليون فم يأكل إلى 80 مليون يد تزرع وتنتج..فهذا الحل هو الوحيد الذي لا يحرمنا من متعة الشعور بالزحام ويجعلنا أيضا نعمل كل حاجة كلنا.

وفي النهاية أعتذر عن الخطأ في معلومة عدد سكان مصر وهو خطأ لا أستطيع اصلاحه لأننا نزيد مولودا كل 19 ثانية وأنا بكتب المقال ده منذ نصف ساعة..وصدق أو لا تصدق أني أسمع الآن أغنية أم كلثوم التي ليتها لم تغنيها لأنها تحولت إلى عقيدة قومية وهي..."خليني جنبك خليني".

عدت سنة

"كل سنة وإنت طيب".. من المؤكد أنك سمعت هذه الجملة كثيرا في اليومين الأخيرين.. ومن الأكثر تأكيدا أنك قمت برد التهنئة قائلا "وإنت طيب". لقد أتت سنة جديدة ولكني مازلت عاجزا عن تفسير هذه المناسبة. هل هي مناسبة سعيدة مثل يوم السادس من أكتوبر أم حزينة مثل يوم الثالث من أغسطس(!!)؟

دعونا نفترض الاحتمالين ونبحث وننقب في كل احتمال، ثم نترك المقال حاملا نهاية مفتوحة حتى يريح الكاتب نفسه من عناء قراءة ما كتبه مرارا وتكرارا ليتمكن من إجابة السؤال. (ملحوظة: لو زهقت من أول احتمال هتلاقي في تحت رمز نجمة.. كمل قراءة من بعدها.. عشان أنا زهقت منه عن نفسي)

عزيزي القارئ.. لا يوجد أدنى شك في أن مرور عام من حياتنا هو مناسبة حزينة.. لست متأكدا ولكني أعتقد أن مرور الأعوام من حياتي يشبه كثيرا مرور الجنيهات من رصيد الموبايل، والأكثر ألما أنك لا تتمكن أبدا من إعادة الشحن، والأشد وجعا أنك لا تملك حتى أن توقف الزمن لتدخر جزءا من رصيدك.

انتهاء عام من حياتنا يعني أننا رأينا مزيدا من الأحداث في حياتنا، وبالتالي يقل احتمال أن نشعر بأي مفاجأة.. ولا يوجد في حياتنا أجمل من المفاجآت. تصبح أكبر سنا وبالتالي تزداد مسئولياتك فبعد أن كنت طالبا في أولى حضانة أكبر ما يمكن أن يواجهه من تحديات هو كتابة الهمزة.. تجد نفسك في امتحان الثانوية العامة جالسا تتأمل لحظات تحديد المصير. لا أدري لماذا لا يتم تحديد الكلية بناء على مجموعنا في أولى حضانة قبل أن ندرك أي شئ، في الواقع هذا هو مقياس التفوق الفطري للانسان.

بمجرد مرور عام من حياتك تجد أنك أصبحت أكثر غلاسة على نفسك.. تضغط عليها أكثر وأكثر فالوقت يمر ولم أحقق بعد نصف طموحاتي.. تتذكر تاريخ ميلادك وتقوم بتلك العملية الحسابية المعقدة لتحسب كم مر من السنوات منذ تلك اللحظة التي زاد فيها تعدادنا بسببك ثم تقول سرا "يااااه الأيام بتجري"، رغم أنها لا تجري ولكننا نحن الذين ننسى أن نراقب الايقاع فنشعر أنه أصبح سريعا فجأة.

كلما يمر عام جديد يزيد الدين العام الداخلي والخارجي نتيجة الفوائد المركبة، وقبل أن تقول واحنا مالنا أذكرك أن هذا يعني زيادة نصيب الفرد من الدين العام وبالتالي تتزايد الأعباء الاقتصادية على كل مواطن. عام جديد من المؤكد أنه سيحمل زيادة في سعر ساندوتش الفول ونقصا في حجمه.

*

عزيزي القارئ.. أحمل لك الآن خبرا سيجعلك تقفز فرحا.. ويفضل أن تتأكد أنك لا ترتدي السماعات حتى لا تدمرها أثناء قفزاتك كما أفعل دائما.. لقد بدأ عام جديد.. هابي نيو يير يا ريدر..أعرف أنك ستجلس منذ

الساعة الحادية عشر منتظرا بداية السنة الجديدة لكي تتصل بأصدقائك وتكون أول المهنئين.. وأعرف أيضا أنك ستجد الشبكة واقعة وتسب شركة المحمول كثيرا.

لا تجعل هذا ينسيك روعة الحدث.. لقد بدأ عام جديد وهذا يعني أنك أمامك فرصة جديدة لاصلاح أخطاء الماضي.. أنت الآن أكثر حكمة.. أعمق خبرة.. أعظم حنكة. أنت الآن تعرف طريقك جيدا ولا مجال للخطأ هذه المرة بإذن الله.

سنة جديدة من المؤكد أنها ستحمل معها أصدقاء جدد.. ولا يوجد ما هو أهم من الأصدقاء في حياتنا.. سيزيد عدد أصدقائك على الفيس بوك وهذا يضمن لك التفوق في معظم الألعاب. وسيزيد أيضا عدد من يهنئوك بعيد ميلادك وربما عدد الهدايا التي تتلقاها.

جميلة.. عظيمة.. رائعة.. هكذا لابد أن تكون السنة الجديدة.. نحن الآن أقرب إلى كأس العالم القادمة وربما يعملها الوحوش المرادي بقي.

سنة جديدة تحمل أملا في أن يزيد رصيدي في البنك.. وربما تتطور الأمور لأجد نفسي في السجل المدني أطلب تغيير حالتي الاجتماعية..لا لا أعتقد.. أشعر أن الحكومة الالكترونية ستجعل السجل المدني متاحا على الانترنت هذا العام.

سينمو اقتصادنا بالتأكيد بعد أن تمكن من اجتياز الأزمة الاقتصادية.. اقتصادنا الذي سينمو هذا العام بمعدل تسعة في المائة نتيجة ضخ المليارات في مشاريع البنية التحتية.

سنة جديدة تعني أننا اقتربنا من أن نصلي الجمعة في الأقصى بإذن الله.. ليس لدي أدنى شك في هذا.. ووقتها سيطلب رواد المقاهي مشاهدة قناة الجزيرة للأخبار بدلا من بطولة أوروبا.. فالجزيرة أصبحت أكثر امتاعا وبهجة.

في الحقيقة لا أعتقد أننا يجب أن نحتفل بالسنة الجديدة، ولكن يجب أن نحاول أن نجعل السنة الجديدة تحتفل بنا..كل سنة وانتم طيبين.

**جميع الحقوق محفوظة ولا يوجد ألش في هذه الجملة بمناسبة السنة الجديدة.. ولكن تعاطفك لوحده مش كفاية.. عقم ولو بكلمة*

عشرة خمستين

برغم إن كل يوم في حياتي يختلف عن اليوم اللي قبله..وبالتالي الكلام اللي بقوله كل يوم بيكون شوية مختلف عن اليوم اللي قبله..ولكني لاحظت إن أكتر كلمة بقولها على مدار اليوم هى كلمة...."جنيه"... سواء رضينا أو لم نرضى..وافقنا أو لم نوافق..حبينا أو لم نحب..برغم كل شئ ستظل الفلوس هي محور حياتنا.

الظروف الاقتصادية الصعبة (إلى حد ما) التي يمر بها معظم أبناء شعبنا الجميل أثرت بشكل مباشر على حياتنا الاجتماعية..ولعلك لاحظت أن الجملة السابقة لا تمثل أي إضافة إلى أي قارئ على أي مستوى ثقافي نظرا لأنها بديهية جدا..وعشان كده هحاول أتكلم عن الأبعاد الغير المرئية في الانعكاسات الإجتماعية للمشكلة الإقتصادية.

برغم أن المواطن المصري مشهور بكرمه وتعاونه..إلا أن هذا الكرم يتوقف دائما عندما يظهر الجانب المادي في التعامل..جرب مثلا تروح أي كشك وتطلب منه على سبيل المثال فكة عشرة خمستين..فبرغم ان طلبك هو عبارة عن صفقة متبادلة متكافئة إلى حد بعيد..إلا أن الطلب يقابل دائما بعبارة "لا والله"..وأعتقد - والله أعلم- أن استخدام القسم هنا لا يفيد التوكيد ولكنها كلمة تخرج بشكل لا إرادي للتعبير عن أسفه أو تعاطفه مع حالتك.

وأنصح أي واحد يواجه عبارة "لا والله" ويلاقي نفسه فجأة في مجتمع صحيح للغاية (خالي من الفكة)..إنه يحاول يطور إسلوبه في البحث عن الفكة..فهناك حكمة مشهورة تقول "لو فضلت تعمل نفس الحاجة كل مرة،وكل مرة تستنى نتيجة مختلفة..يبقى إنت كده راجل برنس".

أعتقد أن مصر هي الدولة الوحيدة التي قد تضطر فيها لشراء الفكة..بمعنى أنه لكي تحصل من البائع على فكة خمسة..لازم تشتري علبة مناديل..ولو عايز فكة عشرة يبقى مبروك عليك الهولز..أما لو عايز فكة عشرين يبقى كانز وانت طالع..وتلاحظ ارتفاع منطقي في سعر الفكة فعلبة مناديل نادرا ما تصلح لفك العشرة جنيهات.

وبمجرد أن يعرف البائع إنك عايز تشتري، يتحول من حالة الخمول العقلي والموت الإكلينيكي التي صاحبت كلمة "لا والله"..إلى نشاط ذهني رهيب..ويتحول عقله إلى بروسيسور بنتيوم فور ليذهلك بكم هائل من الحسابات المعقدة في جزء من الثانية..ويقدم لك عدة حلول تنافس حلول بنك كريدي أجريكول على طريقة "معاك جنيه وربع وتاخد خمسة"..أو "معاك نص جنيه وتاخد علبة كبريت وكيس شيبسي ويبقالك

عشرة "..نصيحة اختر أسهل العروض من غير ما تحسب وراه ثم اسأله في براءة "خلاص كده؟" هيرد بثقة "خلاص كده".

موضوع الفكة يعبر عن خوف المصري من المجهول فربما يحتاج إلى هذه الفكة ولا يجد من يرد له الجميل ويمكن تفسيره على أن الظروف الاقتصادية جعلت المصري أكثر غلاسة..فقد ظهر في الفترة الأخيرة الجنيه في هيئة عملة معدنية ويعتبر ظهور هذا الجنيه المعدني في أي وسيلة مواصلات إنذارا بنشوب خلاف بين الراكب الذي يرفض الجنيه الفضي عشان مش بيحب يمشي "يشخلل"،وبين البائع الذي يقدم مبررا منطقيا إنه أخد الجنيه ده من زبون لم يكن يعاني من الشخللة.

والواقع أن مشكلة الجنيه الفضي لها جذور تاريخية..فمع بدايات القرن الحالي أصدرت الحكومة عملات ورقية فئة العشرة أو الخمسة قروش، وقوبلت البريزة الورق برفض شعبي عارم بحجة إنها مش بتتصرف..لدرجة أن مجمع اللغة العربية أضاف اسم بريزة ورق إلى الأسماء الممنوعة من الصرف..وهكذا وضع الشعب العربة أمام الحصان..يعني هل المواطن رفضها عشان هي مش بتتصرف..ولا هي مش بتتصرف عشان المواطن رفضها؟

الحكومة لم تقحم نفسها في هذا الجدل ولكنها درست نفسية المواطن واستنتجت أن الشعب المصري رفض البريزة الورقية لأنه شعب معدني يؤمن بأن الناس معادن وبالتالي لا يقبل إلا ما هو معدن..وبناء عليه ظهر الجنيه المعدني ليقابل بنفس الرفض وهو ما أعطى انطباعا سلبيا عن علاقة الشعب بحكومته وكأن المصري قد أهدى الحكومة أغنية محمد فؤاد "صعب تاني نحب بعض..صعب نفهم تاني بعض"..وندعو الله ألا ترد الحكومة بأغنية "طيب طيب..صبرك حبة ماعرفت خلاص إيه فيها!!".

أما الخمسة قروش المصرية فتنفرد بميزة مش موجودة في أي عملة على وجه الأرض..الشلن المصري هو العملة الوحيدة التي تصدر في ثلاث أشكال..فهناك الشلن الفضي والشلن الورقي والشلن ال "تشكلتس" الذي يصدره القطاع الخاص في إطار آليات اقتصاد السوق الحر..وكلمة الحر هنا تعني أن المواطن حر في اختيار عملته فمن الممكن أن تتعامل بشلن بطعم الموز أو بطعم النعناع وهو يعبر إلى حد ما عن أصالة هذا الشعب الذي مازال مرتبطا بتاريخه الذي يمتد إلى عصر المقايضة وربما يصدر القطاع الخاص في المستقبل النص جنيه البيضة..والجنيه الدوريتوس.

*جميع الحقوق محفوظة كويس..ولكن النسخ مش ممنوع بالعكس ده إحنا في زمن "النسخ" ..الحكمة بتاعة النتايج المختلفة مقتبسة من الصديق العزيز الفنان عمرو اسماعيل عشان الملكية الفكرية وكده..وأخيرا تعاطفك لوحده مش كفاية..عقم ولو بكلمة.

آخر الرجال المحترمين

أعتقد أنه لم يعد موجودا بيننا هذه الأيام.. كنت أراه بين الحين والآخر ولكنه اختفى في ظروف شديدة الغموض.. إنني أتحدث عن ذلك الشخص الذي يصفه البعض بأنه آخر الرجال المحترمين.. لمزيد من التوضيح سوف أخبركم ببعض صفاته ربما يكون أحدكم قد صادفه في مكان ما.. في زمان ما.. فيخبرني بذلك في تعليق ما.. فأمتلئ حينها سعادة واستجماما.

آخر الرجال المحترمين هو ذلك الرجل الذي لا يزال قادرا على متابعة نشرة الأخبار حتى نهايتها.. رغم أنه يستطيع أن يتحول إلى موجا كوميدي بمجرد تحريك أنامله لتضغط ثلاث ضغطات على الريموت كنترول.. هو لا يستمتع عندما يشاهد ميلودي وهي تتحدى الملل لأنه يشعر وقتها أنها تتحدى البقية الباقية من أخلاقيات المجتمع.. ويفضل بدلا منها قناة الجزيرة لأنه يؤمن بأن من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم.

آخر الرجال المحترمين لا يسب أصدقاءه رغم أنه يحبهم.. لا تندهش فهو ليس مقتنعا بفكرة أن سب الحبيب زي أكل الزبيب التى تسيطر على عقلية الأغلبية الكاسحة من شباب الوطن. وما زال يستخدم حتى الآن اللغة القديمة في حواراته مع الآخرين.. بينما هم يستخدمون اللغة العربية المعدلة التي لا تخلو جملة منها من إيحاءات بذيئة للغاية.. لا تُستخدم بمعناها، ولكنها تستخدم فقط لإبداء الدهشة أو الاعتراض أو التهديد وربما التوكيد.

للأسف هو يمتلك قلبا متحجرا.. ولذلك فإنه عندما يسير في الشارع ويشاهد إحدى الفتيات فإنه يمتنع عن معاكستها.. رغم أن الآخرين يؤكدون أن البنات عايزين كده ويشعرون بسعادة غامرة عندما يضايقهم أحد الشباب (!).. ولكنه مقتنع أنه لا يوجد أي دليل على هذه النظرية ويؤكد أنه لا يصح إلا الصحيح حتى لو كان الخطأ يحقق للآخر إحدى رغباته.

بالإضافة إلى قلبه المتحجر فإنه يمتلك أعصابا شديدة البرود.. لا ينفعل إطلاقا وأكبر دليل على ذلك أنه كان الوحيد الذي لم يسب شيكابالا عندما أضاع ضربة الجزاء.. بالمناسبة هو كان وما زال من مشجعي الزمالك.. لم يغير إنتماءه رغم مرور سنوات من المعاناة لأنه يؤمن أنه لو تخلى عن زملكاويته لأن الزمالك ينهزم من طوب الأرض فبنفس المبدأ سيتخلى عن عروبته لأن العرب هبطوا إلى دوري المظاليم منذ عصور.

شاهدته ذات مرة يسير في الشارع ممسكا بورقة يريد أن يتخلص منها.. لم يجد حوله أي صناديق قمامة فظل محتفظا بالورقة.. هو مقتنع أنه إذا لم يستطع أن يكون جزءا من الحل فعلى الأقل يجب ألا يكون جزءا من المشكلة.. يقف في الطوابير بمنتهى الهدوء رغم أنه يشاهد من هو خلفه يصبح أمامه بعد أن دفع ما لا يصدق أحد أنه رشوة.. ولكن آخر الرجال المحترمين لا يعتقد أنه بذلك قد اختصر وقت الطابور لأن عمر الانسان ليس ملكه وبالتالي فهو لا يستطيع أنه يزيده أو ينقص منه دقيقة واحدة.

آخر الرجال المحترمين لم يكن بالضرورة ذكرا.. فالذكورة صفة تشريحية أما الرجولة فهي مجموعة صفات أخلاقية ربما تتوافر في الذكر أو في الأنثي. وهو نفس المبدأ الذي أكده اللمبي عندما كان يعلم الأجيال أن الرجولة أدب وليس لها علاقة إطلاقا بهز الأكتاف.

في الواقع بحثت كثيرا عن آخر الرجال المحترمين ولكني فشلت في أن أجده.. والآن أنا مقتنع تماما أنه ليس له وجود.. ببساطة لأن الرجال المحترمين لا ولم ولن يكون لهم آخر.

فرصـــة

ربما تجد أمامك اليوم فرصة..ربما تضيعها فتأتي أمامك فرصة أخرى بعد يوم أو يومين أو شهر أو حتى سنة..هذه هي حياة الفرد..أما الأمم فإن الفرص التي تتاح أمامها لا تتكرر إلا نادرا وبالتالي إذا أضاع الشعب فرصة..فإنه ربما يضطر إلى الانتظار لعشرات السنين بحثا عن فرصة أخرى.

هل تصدق أننا كمصريين نعيش الآن على أعتاب إحدى هذه الفرص؟..إذا كنت تصدق ذلك فلا داعي لقراءة باقي المقال أما – وهذا هو الطبيعي- إذا كنت لا ترى ذلك فأنا أدعوك إلى أن تمنحني فرصة اقناعك أن هناك فرصة.

شباب أي دولة هم العنصر الرئيسي في صناعة واقعها..كما تؤكد العبارة الكلاسيكية أن الشباب هم نصف الحاضر وكل المستقبل..وشباب هذه الأيام هم من مواليد الثمانينيات واعتقادي المتواضع أن هذا الجيل يمتلك فرصة تاريخية لم تتوفر من قبل في تاريخ مصر الحديث..فمراحل حياة هذا الجيل تخلو من سلبيات كثيرة عاش فيها آباؤنا وأجدادنا وكانت نتيجتها أنهم وصلوا بنا إلى ما نحن فيه الآن.

فقد عاش أجدادنا مرحلة ما قبل الشباب في ظل احتلال أجنبي ودولة خالية من أي فرص للتميز أو النجاح..وفي مجتمع يقدس الطبقية وسيطرة رأس المال..بينما عاشوا شبابهم مع أحلام وآمال عريضة ولدت في نفس اللحظة التاريخية التي قرأ فيها السادات بيان الثورة الشهير..ليستيقظوا على واقع مؤلم مرير في ظل حكم نظام شمولي ودولة تسيطر على كل شئ بيد من حديد..فتحولت طاقة الأمل إلى كراهية في الصدور لا يجرؤون حتى على إظهارها وإلا ذهبوا إلى ما وراء الشمس...فقد مشروع الثورة مصداقيته وتحول إلى نوع آخر من الاحتلال وفقد جيل كامل من المصريين فرصته في حياة كريمة في ظل نظام يوزع الفقر على الجميع ويحملهم أعباء مغامرات لم يوافقوا عليها لقادة لم يختاروهم..وضاعت الفرصة.

ثم سلم أجدادنا الراية لآبائنا وهم الجيل الذي تربى في مجتمع الخوف الذي تصبح فيه للحوائط آذان..ثم تجرعوا مرارة هزيمة لم يكن لهم ذنب فيها...إلا أن هذا الجيل صنع مشروعه بنفسه بعد أن حارب وانتصر..وشعر أنه صنع واقعا يؤكد أن ما ستحمله الأيام يجب أن يكون أفضل بلا شك، ولكن فوجئ الجميع باتجاه الدولة من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين..وهو ما أدى إلى تقلبات اجتماعية غيرت ملامح الهرم الاجتماعي في مصر..فصعدت طبقات على أعناق طبقات أخرى والأسوأ أن حدث ذلك في ظل موجة عنيفة من التضخم وارتفاع الأسعار مع انسحاب كامل لدور الدولة..فأصبحت الفردية هي السمة الأساسية ولا صوت يعلو فوق صوت أحلام الثراء السريع..وضاعت الفرصة مرة أخرى.

وجاء الجيل الذي أنتمي إليه..وهو الجيل الذي ولد مع تولي رئيس جديد التف حوله الجميع في لحظة حاسمة من تاريخ هذا الوطن..وبدأ مشروع جديد هو مشروع التنمية وأحلام الرخاء الذي سننعم به في ظل السلام..عشنا طفولتنا في ظل استقرار لم يشهده الآباء ولا الأجداد..لم نعرف معنى المخابئ أو صفارات الانذار..حتى حظنا في التعليم وإن كان قليلا إلا أنه كان أفضل حالا ممن سبقونا وممن لحقوا بنا..عانينا من الفساد الذي شاهدناه في كل مكتب حكومي..ولكننا أيضا قرأنا عنه في صحافة أكثر حرية وإعلام أكثر جرأة..عشنا في عالم القرية الصغيرة وثورة الاتصالات والفضائيات..ووجدنا من يحدثنا في الدين والسياسة والكرة والهلس وأصبحت أمامنا جميعا كل الاختيارات وهو ما لم يكن متاحا من قبل.

عشنا في أسوأ ظروف مرت على الأمة العربية من الضعف والانقسام..وشاهدنا نشرات إخبارية مريرة لم تكن موجودة في زمن الإعلام الموجه..وحلمنا كثيرا أكثر ممن سبقونا بيوم نسترد فيه كرامتنا..غنينا لضمير عربي مات وحلم عربي لم يتحقق ولكننا على الأقل غنينا لما نؤمن به ونشعر به ولم نغن للوطن الأكبر الذي يوما بعد يوم أمجاده تكبر..نفاقا للنظام..لقد أتيحت أمامنا فرصة دراسة التاريخ لنتعلم من أخطاء من سبقونا..وشاهدنا تجارب دول أخرى نجحت في النهوض وأثبتت أنه لا وجود لما يسمى بالمستحيل.

ولكن على الوجه الآخر فقد حرم هذا الجيل من هدف قومي يوحد طاقاته..كحلم بناء السد العالي أو تحرير الأرض..فكان أكبر هدف حلمنا به هو الوصول لكأس العالم..وأكثر ما فرحنا به سويا كأمة واحدة هو الفوز بكأس أفريقيا..وتاه بعضنا بين جماعات سلفية متطرفة منفصلة عن الواقع..وبين اختراقات الغرب الفكرية التي أضاعت عقولا ومسحت هوية.

أما من تبقى بين هؤلاء وهؤلاء فإنه يتساءل..لماذا نتفاءل بينما نرى بجانب كل خبر أبيض صحيفة سوداء ونسمع بعد كل رقم مبشر أرقاما يشيب لها الولدان؟..هذا صحيح ولكن سنة الحياة هي تعاقب الأجيال..وها قد أتى جيل جديد هو أول ثمار عهد السلام..نعم إننا نعيش في أشد لحظات الليل ظلمة ولكن لحسن الحظ أننا نحن من سيقرر إذا كانت هي التي ستشرق بعدها الشمس أم لا يزال أمامنا ليل طويل.

إن أهم ما يميز هذا الجيل أنه أتيحت أمامه رؤية مستقبل مظلم وبالتالي فإنه من المفترض أن يشعر بالخطر وأن يعمل على تجنب هذا المستقبل..فقديما كانوا دائما يحلمون بما هو أفضل..أما نحن فإننا لا نرى نورا لا في بداية الطريق ولا في نهايته..ولكن الغريب أننا لم نلاحظ أننا نحن - ولا أحد سوانا – هم من سيحدد كيف تكون النهاية.. وبما أننا تعرضنا لمقدمات مختلفة فالطبيعي أن تكون النتائج مختلفة عن نتائج من سبقونا..ولكن السؤال الأهم هل سنحقق ما هو أفضل أم العكس؟

لا أدعي أن المستقبل سيكون أفضل لأن ذلك في علم الغيب..كما أنه منذ عشرين عاما لم يكن هناك ماليزي يتوقع أن يصلوا إلى ما وصلوا إليه من تقدم..أو عراقي يتوقع أن يصلوا إلى ما وصلوا إليه من تخلف..ولكني أؤمن تماما أن هناك فرصة لم تتوفر من قبل..ومن يدري..فربما تشرق الشمس أخيرا.

****

تم بحمد الله